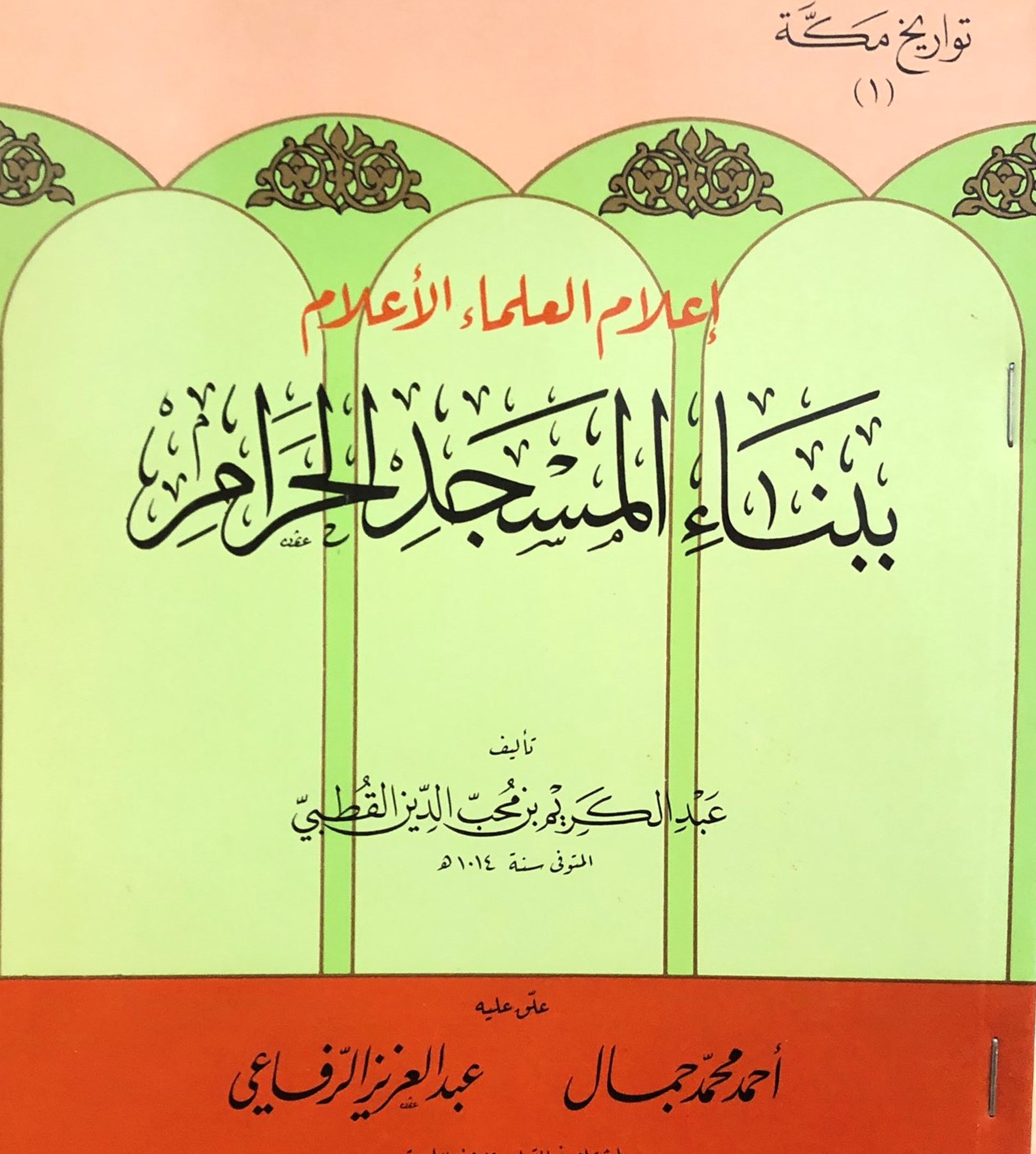
تواريخ مكّة
(١)



إعلام العلماء الأعلام

ببناء المسجد الحرام

تأليف

عبد الكريم بن محبّ الدين القطبي

المتوفى سنة ١٠١٤ هـ

علّق عليه

أحمد محمّد جمال — عبد العزيز الرّفاعي

واشترك في التعليق على هذه الطبعة

د. عبد الله الجبوري

دار الرّفاعي
للنشر والطباعة والتوزيع

تواريخ مكة

-١-

إعلام العلماء الأعلام ببناء المسجد الحرام

تأليف

عبد الكريم بن محب الدين القطبي

المتوفى سنة ١٠١٤هـ

علق عليه

أحمد محمد جمال عبد العزيز أحمد الرفاعي

واشترك في التعليق على هذه الطبعة

د. عبد الله الجبوري



كلمة الناشر

لنشر هذا الكتاب أول مرة في المملكة العربية السعودية، قصة من حق التاريخ علينا أن نسجلها. وأنا هنا أحاول ذلك بإيجاز.

كان من بين شباب مكة المكرمة، في الستينات الهجرية، مجموعة من اللدات تتقارب أعمارهم.. أشربوا حب الأدب والكتب.. منهم من تجمعهم المدرسة، أو البيوت، أو العمل.. ولكن مركازاً في المسفلة على سفح جبل من مقهى (باني) يشرف على بساتين المسفلة، كان كثيراً مايضمهم جميعاً في العصارى.. يتجمعون مبدئياً في مكتبة الثقافة بباب السلام الصغير، ثم ينطلقون، مشياً على الأقدام إلى مركازهم.. وكانوا يقطعون الطريق الطويل ـــ أو الذي يبدو طويلاً الآن فقط، بعد التعود على السيارات ـــ كانوا يقطعون الطريق بالحديث، وتبادل الرأى والأفكار.. وكانت آراؤهم شابة مثلهم، فيها الحماس، وفيها الخيال الواسع، وربما كان فيها شيء من التطرف..وربما كان فيها الكثير من الفطير.!

ورأى هؤلاء الشباب.. أن تكون لهم لجنة، للتأليف والترجمة والنشر، كما لمصر لجنة للتأليف والترجمة والنشر، كان يعمل فيها الأديب الدائب النشط الأستاذ أحمد أمين.. يرحمه الله..

ورأى بعض أفراد المجموعة، أن يخرجوا فكرتهم فوراً، قبل أن يقتلها التأني، فتذهب بها الأيام، فجمعوا مائة ريال من كل فرد منهم ـــ وكان من بينهم من كان يجهده جداً دفع هذا المبلغ ـــ وذلك ليكوّنوا رأس مال قدره ألف ريال ينفّذون فيه خطواتهم الأولى في نشر الكتاب المحلي.. أو الكتاب الذي يخدم بلدهم (مكة المكرمة).. ولم يكن عددهم ليفي الألف.. فقد كانوا ثمانية.. ولكنهم سدوا عجزهم بضم رجلين من خيار الرجال، كانوا يحبونهما و يكبرونهما، ويجدون فيهما الحدب والتوجيه، وأصالة الرأى، وهما

الشيخ (**عبد الوهاب دهلوي**)، وهو صاحب مكتبة كبيرة، مشارك في العلوم، واسع الاطلاع، كريم النفس،والآخر هو الأستاذ الأديب الكبير (**محمد سعيد العامودي**) أمد الله في حياته.. وهو يتميز بأدب النفس والعلم.. وله ثقافة واسعة، ومكتبة كبيرة.. ونفس مشبعة بحب الخير.

وكان أول ماااتجه إلى تفكيرنا أن نصدر كتاباً لأحد كبار أدبائنا.. فصدرت قصة «فكرة» للأستاذ **أحمد السّباعي**.. وكان كل ذلك سنة ١٣٦٦هـ.

أما آخر ماأصدرناه، فهو هذا الكتاب في طبعته الأولى بالنسبة إلينا لاإليه.

وقد رشحه لنا الشيخ عبد الوهاب الدهلوي يرحمه الله، ورأت اللجنة، أن يضطلع بالتحقيق والتصحيح، شخصان من أعضائها هما الأستاذ **أحمد محمد جمال**، وهو جدير بأن يضطلع بمثل هذه المهمة، أما الشخص الآخر فهو كاتب هذه السطور، الذى لم يكن ليعلم من أمر تحقيق التراث شيئاً.. ولايزال.. ومهما كان الأمر فقد عملا ماتمكنا من عمله، من مقابلة وتصحيح، وبقدر ماأتيح لهما من الأصول ــ ولم تكن إلا محدودة جداً ــ وخرج الكتاب.. ولكنه لم يجد له من القراء آنذاك إلا قلّة. ثم لم تستطع اللجنة بعده أن تمضي في مهمتها.. فصمتت وتفرق أعضاؤها.. وأكلتهم شواغل الحياة.!

وعندما فكرت (**دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع**) أن تعيد نشر هذا الكتاب، بعد حوالي أربعين سنة من ظهوره كان العثور على نسخة من طبعته الأولى، أمراً في غاية الصعوبة.. ولكن كان من حسن الحظ أن عثرت على نسختي مصادفة، فاتجه الرأى هذه المرة، أن يوسد أمر المراجعة والفحص لأستاذ متخصص، فاضطلع بهذه المهمة الأستاذ الدكتور (**عبد الله الجبوري**) الذي ضم هوامشه إلى هوامش المهمشين الأولين، وتميزت هوامشه

بحرف (ج) إشارة إلى الحرف الأول من لقبه (الجبوري).

ورأت دار الرفاعي، أن يكون هذا الكتاب أول سلسلتها في (تواريخ مكة)، لعلها تستطيع أن تصدر في هذه السلسلة، شيئاً مهماً من تواريخ البلد الحرام.

والدار لا تزعم أنها خطت بهذه الطبعة خطوة واسعة في إخراجه، وإنما تزعم فقط أنها عملت على إتاحة هذا الكتاب لقرائه، على أن تتيحه لهم في طبعة قادمة ليكون أكمل تصحيحاً وتحقيقاً ومقابلة على نسخه المبعثرة هنا وهناك وهنالك..

إذن فليس لها من شيء تعتدّ به إلا خلوص النيّة؛ نسأل الله التوفيق والسداد والعون.

وجزى الله خيراً كل من نقد فأخلص، أو أرشد إلى معلومة جديدة، نستفيد منها في مقبل الأيام.

الرياض ١٤٠٣/١/٢٧هـ

عبد العزيز الرفاعي

إيضاح

في يوم ١٣٦٦/٣/١٢ كان أول اجتماع للجنة النشر العربية برئاسة الشيخ عبد الوهاب الدهلوي وعضوية كل من الأساتذة محمد سعيد العامودي وعبد الله فدا وصالح جمال وعبد الرزاق بليلة ومنا، ومساهمة كل من الأخوة الكرام بكر قزاز وصدقة قزاز وحسن أشموني.

وقد أعلنت اللجنة بجريدة أم القرى وجريدة البلاد السعودية عن فكرتها وهدفها ومنهاجها. ولانريد أن نطيل فى رسم ذلك باكثر من أن نقول إن الدافع لها الى ذلك هو حبها لأن يكون للتأليف الحجازي ذكر وقدر ـ بين التآليف العربية فى مصر وسوريا ولبنان والعراق وفلسطين وسائر بلاد الاسلام والعروبة ـ وأن تعين اصحاب التآليف الأدبية الخطية المطمورة على اخراجها إلى النور.

وأضافت اللجنة الى ذلك استعدادها لطبع الكتب المدرسية المؤلفة بأقلام حجازيين، رجاء أن يكون لهذه البلاد تأليف مدرسي خاص ببيئته وتاريخه وظروفه الحاضرة وذكرياته الماضية.

وكان أول كتاب أصدرته اللجنة هو قصة(فكرة) للأستاذ أحمد السباعي.

والآن نضع بين أيدى القراء هذا الكتاب موضحين عنه مايأتى:

١ ـ إن الشيخ عبد الوهاب الدهلوي رئيس اللجنة هو الذى تفضل بنسخ هذا الكتاب من مكتبة (شيخ الاسلام) بالمدينة المنورة وهذه النسخة هي التى كان اعتمادنا عليها ونسميها النسخة المدنية، ويوجد عنده من نسخة أخرى قطعة صغيرة من آخر هذا الكتاب وهذه القطعة نفعتنا فى تصحيح بعض الأغلاط الواقعة فى النسخة المدنية.

٢ ــ النسخة التى حققناها، فيها أخطاء نحوية وإملائية، وسوء ترتيب وايراد كلمات لم نتبين صحتها. وقد أشرنا إلى كل ذلك بالهامش.

٣ ــ قابلنا هذه النسخة على نسختين من المطول إحداهما مطبوعة فى مصر والأخرى فى أوربا ــ وقد اعتمدنا على تعليقات بقلم صاحب هذا الكتاب (المختصر) معلق بها فى طبعة اوربا ــ على ان اكثر مقابلتنا كان بين نسختنا وطبعة مصر.

٤ ــ إن صاحب المختصر قد أحسن إذ أوجز ولم يسترسل كما استرسل صاحب المطول فى غير ضرورة. ولكنه فى الوقت نفسه قد حذف مباحث مهمة رأينا لأهميتها أن نعيدها هنا اقتطافا من المطول ويراها القارىء فى هوامش الكتاب، كذلك أحسن مؤلف المختصر اذ تحدث فى كتابه بأسلوب المؤرخ السارد لا أسلوب الأديب المتَنمِّق. وأكبر مانحمده له وصفه لبناء المسجد الحرام على حالته الراهنة .

٥ ــ أخبرنا الأستاذ العلامة الشيخ حمد الجاسر عن نسخة لهذا الكتاب رآها فى دار الكتب المصرية، تقع فى ١٢٠ ورقة صغيرة فى كل ورقة ٢٦ سطرا، وهي مكتوبة بخط النسخ الجميل وقد جاء فى آخرها، قال مؤلفه« فهذا آخر مالخصته من تاريخ عمى وأستاذى الشيخ قطب الدين مفتى مكة. ثم قال مؤلف :هذا الكتاب العبد الفقير الى الله تعالى خادم العلم الشريف عبد الكريم بن محبّ الدين القطبي. وقد فرغت من تأليفه وكتابته يوم الأحد ١٠١٠/٨/١١هـ .

وسيرى القارىء فى آخر الكتاب قول مؤلفه« هذا آخر مالخصته... وذلك فى يوم الأحد لاحدى عشرة ليلة بقيت من شعبان سنة ألف من الهجرة».

ففى هذه النسخة نرى تاريخ الفراغ من تأليفه ١٩ شعبان سنة ألف وفى نسخة دار الكتب المصرية نرى التاريخ ١١ شعبان سنة ألف وعشر. ولعل هذا الفرق فى السنة وأيام الشهر سببه خطأ النساخ.

٦ ــ ألحقنا في أول الكتاب ترجمة صاحب المطول وصاحب المختصر بقلم الاستاذ عبد الله عبد الجبار مدير المعهد العلمي السعودى سابقا كتبها لهذا الكتاب خصيصا بعد مراجعة مراجع كثيرة فله منا جزيل الشكر.

وبعد فنسأل الله تعالى أن يجعلها خدمة مقبولة فى سبيل هذا البلد الحرام.

أحمد محمد جمال　　　عبد العزيز الرفاعي



ترجمة

مؤلف الأصل (الإعلام بأعلام بيت الله الحرام)

قطب الدين النهروالي ٩١٧ - ٩٩٠هـ

مولده وأصله: هو محمد قطب الدين بن أحمد علاء الدين بن محمد قاضيخان بن بهاء الدين بن يعقوب بن حسن بن علي النهروالي المكي الشهير بالقطبي. ولد سنة سبع عشرة وتسعمائة(١). ولم نعثر فيما بين أيدينا من المراجع على محل ولادته ولكنا نرجح أنه ولد بالهند. وهو نهروالي الأصل والمحتد، نسبة إلى نهروالة(باللام لا بالنون) من أعمال كجهات بالهند وهي التي تسمى الآن(فَتَّنْ).

حياته وصفاته: وكان من الأعيان المذكورين، والفضلاء المشهورين مبجلا محترما(٢) أحب الأتراك وأحبوه، وأغدقوا عليه، وكان كبراؤهم لايرضون بمطوف غيره إذا ما انتجعوا الأماكن المقدسة(٣) وكان يقدر علماءهم وعظماءهم، ويشيد بمآثر سلاطينهم: يمدحهم ويهدى إليهم مؤلفاته حتى تولى على عهدهم مناصب دينية عالية، منها منصب الافتاء، وكان مدرسا بالمدرسة السليمانية الحنفية، وكان رئيسا لكتاب أشراف مكة يكتب لهم الانشاء، وكان ذا وجاهة ونفوذ، سعى لاخيه محب الدين في القضاء ببلاد اليمن، حتى إذا انتقل إلى رحمة الله سعى لابنه من بعده(٤).

---

(١) شذرات الذهب في اخبار من ذهب ج٨ ص٤٢٠

(٢) النور السافر ص٣٨٣

(٣) الدر الطالع ص ٥٧ ج٢

(٤) النور السافر ص٣٨٨

كرمه: وكان جوادا كريما« لايرد مكة أحد من أهل العلم والصلاح، الا فيأه ظلال الكرم والسماح، وهز عطف أمله بنشوة الارتياح»(١) (وكان كثيرا ما يخرج إلى الطائف، و يستصحب معه جماعة من العلماء والأدباء و يقوم بكفاية الجميع)(٢).

ثقافته واستعداده العلمي: و يعتبر النهروالي من ذوى الثقافات الراقية، والكفايات الممتازة في القرن العاشر بالحجاز. ولقد كان دأبه « منذ اميطت عنه التمائم» وبعد أن قرأ على يد والده في الهند وارتحل إلى البلاد المقدسة، أن يلقى العلماء الوافدين إلى بيت الله الحرام ــ وما أكثر الوافدين إلى بيت الله الحرام ــ يرتوى من مناهلهم العذبة، و يكاتب بعضهم و يكاتبونه حتى يتحقق من ثقوب فهمهم، ووفور علمهم وعقلهم ! ولم يكن يكتفي بهذا، بل إنه كان يتتبع علماء كل إقليم، و يسأل عن مراتبهم في العلم، وماوصلوا إليه من الكمال في التعلم والتعليم، و يكثر الفحص عن أحوالهم وفضائلهم، وفوائدهم وتآليفهم، و يستجلب مايمكن جلبه، و يطلب ذلك منهم إذا أمكن طلبه، حتى أصبح بهذا اللون من الدأب والنشاط أكثر العلماء خبرة بأحوال العلماء ودرجاتهم(٣)، ومن أعظم الأساتذة عائدة على الطلاب.

وليس هذا فحسب، بل إنه قد أتيح له أن يرتحل إلى مصر والآستانة، وأن يرتشف من مناهل العلم والمعرفة هناك، وأن يكمل نفسه على أيدى أساطين العلماء فيها. وكان ميالا لقراءة الكتب واقتنائها، وساعده على ذلك حظوته لدى الأتراك، فقد كانوا يجزلون له العطايا والهبات، وكان ينفق مايتحصله منهم في شراء نفائس الكتب وذخائر المخطوطات، حتى اجتمع له منها ما لم يجتمع لغيره(٤).

(١) ريحانة الالباء ص١٩٩
(٢) البدر الطالع ص ٥٧ ج٢
(٣) الاعلام ــ هامش (خلاصة الكلام) ص٢٧٥
(٤) البدر الطالع ج٢ ص٥٧

ولاعجب بعد ذلك كله أن يكون النهروالي جامعا بين الثقافتين الدينية والعربية« مقتنصا لأوابد المعارف(١)» مبرزا في الفقه والتفسير والحديث والأصول، متفننا في علوم اللغة العربية بارعا في التاريخ والآثار والتراجم إنما العجب أن يظهر إلى هذه الألوان من الكفايات مشاركة بارعة في علم الطب فلقد كان يدرس هذه المادة في المدرسة الحنفية السليمانية(٢) كما كان يدرس الفقه والتفسير فيها.

شاعريته وشعره: وكان النهروالي «مرهف الطبع (٣)» لطيف الذوق، يميل إلى الدعابة والظرف، شغوفا بالتنزه في البساتين واجتلاء محاسن الطبيعة الجميلة. وله شعر اورد الخفاجي والعيدروسي جملة منه، وأكثر ما أورداه في الغزل والنسيب.

وشعره على ما به من تصنيع يحسب من الشعر الرقيق ومنه قوله:

أحبة قلبي أنتم قد وردتمُ   معي منهل اللذات وهو نمير

ووالله ما استغنيت عنكم بغيركم   وإني إليكم ماحييت فقير(٤)

تدقيقه في رواية التاريخ: ولقد كانت مواهب النهروالي في علم الحديث ذات أثر واضح في كتابته في التاريخ، فكان يعتقد انه اذا لم يكن هناك سند بين الناقل الراوى ومن ينقل عنه فلا اعتماد على ذلك النقل، وإذا لم يكن رجال السند موثوقا بهم، فلا اعتبار لتلك الرواية وعلى هذا الأساس ذكر في مقدمة كتابه(الإعلام بأعلام بيت الله الحرام) سنده الى من نقل عنه من مؤرخي مكة كالأزرقي والفاكهي والفاسى وابن فهد.

---

(١) ريحانة الالباء ص ١٩٩

(٢) الاعلام باعلام بيت الله الحرام ص ٣٥٣ طبعةاوربا

(٣) ريحانة الألباء ص١٩٩.

(٤) المصدر السابق

أساتذته ومشايخه: وتلقى النهروالي العلم أول ماتلقاه على يد والده العلامة احمد علاء الدين الذى جاور بمكة المكرمة، ولبث يدرس بالمسجد الحرام حتى توفي سنة ٩٤٩هـ. ثم تيسر له أن يقرأ الحديث على الشيخ أحمد ابن محمد العقيلى النويري، وعلى محدث اليمن عبد الرحمن بن على الديبع، ثم اخذ سند(صحيح البخاري) من الشيخ نور الدين أبي الفتوح الشيرازي ، وهذا السند قد كان مقبولا في الحجاز واليمن لقلة وسايطه(١).

ومن مشايخه أيضا الشيخ ناصر اللقاني، والشيخ محمد التونسي، والشيخ أحمد ابن يونس بن الشلبي، والشيخ عبد الحق السنباطي(٢) ــ وهو أجلّ من أخذ عنه من المحدثين ــ ومنهم الشيخ شهاب الدين أحمد بن موسى المغربي الأصل ثم المصرى نزيل الحرمين ــ وهو ألطف من أخذ عنه(٣) ــ والشيخ عبد العزيز بن عمر بن فهد وقد أدركه وله عنه رواية(٤).

مؤلفاته: وقد ألف «النهروالي» مؤلفات جليلة: منها ماطبع، ومنها مالا يزال مخطوطا، ومنها ماعبثت به أيدى الضياع. ومن مؤلفاته في الأدب:

١ــ (أ) الكنز الأسمى في فن المعمى خ: في برلين(٥)

٢ ــ (ب) تمثال الأمثال النادرة، أو التمثيل والمحاضرة في الأبيات المفردة النادرة، رتبها على الأبجدية، حسب الحروف الأولى من أبياتها بحيث يستفيد منها الراغبون في المذاكرة الشعرية. وقد أهدى الكتاب «لأمير المؤمنين الغالب بأمر الله الشريف عبد الله صاحب المغرب». منه نسخة في المكتبة الخديوية(دار الكتب المصرية) في ١٠٠ صفحة(٦).

---

(١) (ياد أيام)بالأوردو أى تذكار الأيام للسيد عبد الحي ص ٦٤
(٢) شذرات الذهب ج٨ ص ٤٣٢
(٣) الاعلام ص ٢٤٠ طبعة أوربا
(٤) المرجع السابق ص ٩
(٥) تاريخ آداب اللغة العربية لجورجي زيدان ص ٣٠٩ ج٣.
(٦) المرجع السابق ص ٢٨٤ ــ ٢٨٥

ومن مؤلفاته في التراجم:

٣ ــ (أ) طبقات الحنفية: وقد احترق في جملة كتبه(١)

٤ ــ (ب) منتخب التاريخ: في التراجم، وهو من الكتب الهامة، منه نسخة في ليدن(٢).

ومن كتبه في التاريخ:

٥ ــ البرق اليماني في الفتح العثماني: وهو تاريخ اليمن من سنة ٩٠٠هـإلى أول الفتح العثماني على يد الوزير سليمان باشا ثم إلى أيام المؤلف منه نسخ في برلين وغوته وفيينا وباريس وتونس والجزائر، ومكتبة الحرم المكية، ومكتبة شيخ الإسلام بالمدينة المنورة. ألّفه للوزير سنان باشا. ويسمى أيضا« الفتوحات العثمانيةللأقطار اليمنية» طبعت خلاصتها مع ترجمة أسبانية في لشبونة سنة ١٨٩٢م(٣). وقد نشره كاملاً الشيخ حمد الجاسر، بيروت ١٣٨٠هـ.

ومخطوطة(مكتبة الحرم المكي) تقع في نحو ٥٤٦ صفحة من القطع المتوسط، وخطها نسخ مقروء. ووافق الفراغ من كتابتها نهار الأحد في غرة صفر الخير من شهور سنة إحدى عشرة والف، تجاه الصخرة المشرفة على يد كاتبه محمد بن شروين. وبالصفحتين الأولى والثانية منها نقوش ذهبية ملونة وإطاراهما بالذهب، وإطارات باقي الصفحات بالقلم الأحمر، وهي من وقف الشريف عبد المطلب.

---

(١) شذرات الذهب ج٨ ص ٤٢٠

(٢) جورجي زيدان ص ٣٠٩ ج٣

(٣) جورجي زيدان ص ٣٠٩ ج٣

ومن مؤلفاته في التاريخ والآثار:

٦ ـ «الإعلام بأعلام بيت الله الحرام»: قدمه للسلطان مراد وذكر فيه موقع مكة وتاريخها وعجائبها، وماقيل في حكم بيع دورها وإجارتها، والمجاورة بها، والأخبار المتعلقة بها، ومن دخلت في سلطانه من الدول إلى العثمانيين في أيام المؤلف، وذكر الكعبة والمسجد الحرام وإصلاحها وتعميرها وما يتصل بذلك. وفيه فوائد تاريخية وجغرافية وأحكام شرعية ومواعظ نافعة. وانتهى من تأليفه في ليلة الثامن من شهر ربيع الأول سنة ٩٨٥هـ . ومنه نسخ في برلين وغوته وليدن وباريس وغيرها(١). وقد طبع في أوروبا ومصر، وسنذكر هنا وصفا وجيزالكل طبعة.

(أ) طبعة أوروبــــا:تقع في(٤٨٠) صفحة من القطع المتوسط يندمج فيها التصحيحات، وفي ذيلها مقدمة للمحقق(وستنفيلد)(*Westnfld*) بأرقام أفرنجية خاصة. وكان الفراغ من طبع هذا الكتاب في مدينة(غُتّنْغَة) بمطبعة المدرسة المحروسة يوم الأربعاء الثالث عشر من المحرم الحرام سنة ١٢٧٤هـ وهذه الطبعة أصح الطبعات وأدقها.

(ب)طبعة المطابعة الخيرية بمصر: وطبع هذا الكتاب بمصر بالمطبعة الخيرية على ورق أصفر على هامش كتاب (خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام) على ذمة ملتزمه الشيخ أبي بكر بن محمد خوقير الكتبي بمكة بباب السلام والمدرس والإمام بالمسجد الحرام.

وكان الفراغ من طبعه في أواخر شهر شعبان من سنة ١٣٠٥هـ.

---

(١) جورجي زيدان ص ٣٠٩ ج٣، والإعلام بأعلام البيت الحرام ص٨

(ج) طبعة المطبعة العثمانية بمصر: وطبع في مصر للمرة الأولى في المطبعة العثمانية بمصر على ذمة ملتزمه الشيخ محمد مراد الطرابلسى. وكان طبعه على ورق أبيض. وفرغ من طبعه في أوائل جمادى الأولى عام ١٣٠٣هـ.

وفاتـــــه:

وهكذا قضى النهروالي حياة حافلة بالإفتاء والتأليف والتدريس والبر بالناس وغير ذلك من جلائل الأعمال، حتى انتقل إلى جوار ربه في يوم السبت الثانى والعشرين من شهر ربيع الثاني سنة تسعين وتسعمائة(١) كما في تاريخ عبد الملك بن حسين العصامي.

ودفن بالمعلاة، وخلّف أربع بنات.

عبد الله عبد الجبـــــار

(١) نشر النور والزهر ص ٧٥٢ وفي الأعلام للزركلي نقلا عن فهرست الكتبخانة أن وفاته سنة ٩٨٨هـ . وفي (ياد أيام) ص ٦٤ أنه توفي سنة٩٩٩هـ .



ترجمة

مؤلف المختصر

(إعلام العلماء الأعلام)

عبد الكريم بن محب الدين القطبي

٩٦١ - ١٠١٤ هـ

مولده وحياته:

هو عبد الكريم بن محب الدين بن علاء الدين النهروالي الحنفي ثم المكي، الشهير بالقطبي — شهرة ثانية بعد عمه قطب الدين — ولد يوم الاثنين تاسع عشر شوال سنة إحدى وستين وتسعمائة بأحمد آباد من بلاد الهند. وقدم مكة مع والده وبها نشأ وتثقف وحفظ القرآن. وتولى إفتاء مكة سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة، وأم بالمقام الحنفي في حدود التسعين والتسعمائة، وكان حافظا للمقام بمقتضى مراسيم سلطانية(١)، وولي ايضا المدرسة السلطانية المرادية بمكة(٢) وجعلت له خلعة تحمل مع الركب المصرى يلبسها في يوم العرضة(٣) وقد سعى في إحداث معلوم من بندر جدة يكون في مقابل الافتاء الحنفي بمكة وأجيب اليه(٤). ثم أحدث له في مقابلة ذلك ايضا صوفان من الديار الرومية وفي ضمنها مائة دينار(٥). وكان باش الوجه طلق المحيا كثير السكون.

---

(١) نظم الدرر ص ٥٥

(٢،٣) خلاصة الاثر ص ٩ ج٣

(٤) نشر النور والزهر ص ٦٥٢

(٥) خلاصة الاثر ص ٩ ج٣ .

مواهبه وثقافته:

وكان ألمعي الذهن، شديد الذكاء، بل لقد عدوه «من أذكياء العالم»(١) وكان ذا مهارة فنية في فن الخط: كتب بخط يده عديدا من الكتب(٢). وكان محبا للاطلاع آلت إليه جميع مخلفات عمه من الأموال والكتب الكثيرة وتمت معه حتى بلغت كتبه أربعة عشر الف كتاب، مابين مجلد ومجلدين وثلاثة واكثر، وكان النساخ لايكادون يفارقون داره، يكتبون له ما يريد من الكتب مع الاعتناء بتصحيحها وضبطها(٣). وكان قوي الحافظة، خصب الذاكرة، مبرزا في الحديث، عالما بالفقه خبيرا بأحكامه وقواعده مطلعا على نصوصه.

أما الأدب فكان فيه فريدا يفهم نكته ويكشف غوامضه ويستحضر من الأخبار والوقائع وأحوال العلماء جملة كثيرة، وكان معروفا «بالدقة والانصاف في البحث»(٤).

أساتذته ومشايخه:

ولاغرو فهو تلميذ عمه العلامة قطب الدين، لزمه وبه تفقه وعليه تخرج، كما أخذ عن الشيخ عبد الله السندي والعلامة أحمد بن حجر الهيتمي وغيرهم.

مؤلفاتـــــه:

ومن مؤلفاته شرح على البخارى ممزوج لم يكمله سماه«التعبير الجارى على البخارى» ومختصر لكتاب عمه قطب الدين«الإعلام بأعلام بيت الله الحرام» سماه «إعلام العلماء الأعلام» وقد زاد فيه أشياء ذات بال وهو هذا.

(١،٢) المرجع السابق ص٨ ج٩

(٣) نظم الدرر ص ٥٥

(٤) خلاصة الاثر ص ٨ ج٣

وفاتـــــه:

وكانت وفاته قبل غروب يوم الأربعاء الخامس عشر من ذى الحجة سنة أربع عشرة وألف، ودفن بالمعلاة(١).

عبد الله عبد الجبـــار

---

(١) نظم الدرر ص٥٥



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي عمَّنا بوافر جوده ونعمه، وخصّنا بجوار بيته الحَرام وسكنى مأمنه وحَرَمه، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي نصبه الله تعالى بحجة كهداية علَماً، فما أمّه خائف إلاّ وجده للأمن حرَما، وعلى آله نجوم الهدى، وصحبه مصابيح الدجى، من اقتدى بهم اهتدى

أما بعد: فقد أمرني من تجب إطاعته من لا أسميه إجلالاً وتكرمةً باختصار كتاب «إعلام الأعلام، بأخبار المسجد الحرام»، تأليف عمّي وأستاذي مفتي بلدان الأمين مولانا قطب الدين نوّر الله ضريحه، لطوله باشتماله على تراجم الخلفاء الأعلام، الذين عَمَروا البيت العتيق والمسجد الحرام، الخارج عن المقصود من التأليف، من تعظيمهم للحرم الشريف، والبيت المطهر المنيف. وهو وإن لم يخلُ من الفوائد، معدود من جملة الزوائد، لافراد العلماء تراجمهم بالتدوين، ونشر مآثرهم بأبسط تبيين، فامتثلت أمره، وشرعت في المقصود، مستعيناً بالقادر المعبود، وزدت على الأصل ما لم يذكره وهو محتاج إليه، وماحَدَث بعد تأليفه منها عليه، وسمَّيْتُه: «إعلام العلماء الأعلام، ببناء المسجد الحرام». فجاء بغاية الإفهام تاريخ الاتمام. ورتبته على عشرة أبواب وخاتمة. ينتهي بها الكتاب، والله أسأل إلْهام الصواب، والعِصْمِة عن الوقوع في الاشتباه والاضطراب.



الباب الأول

في ذكر وضع مكة المكرمة شرفها الله تعالى
وحكم بيع دورها وإجارتها والمجاورة فيها



اعلم أن بلد الله الحرام مكة المشرّفة بلدة كبيرة مستطيلة ذات شعاب ولها مبدأ ونهايتان، فبدؤها المِعْلاة، وهي المقبرة الشريفة، ومنتهاها من جانب جدّة موضع يقال له: الشبيكة(١). أقول: بل منتهاها في أيام كتابة هذه الحروف تربة الشيخ محمود بن ابراهيم بن أدهم نفعنا الله به، ومن جانب اليمن قرب مولد سيدنا حمزة رضي الله عنه في لصق مجرى العين ينزل إليه بدرج يقال له: بازان. أقول: والآن قد زاد البناء والعمران على ذلك بكثير من هذه الجهة، ومن الدرب الثاني الذى يمر منه السيل إذا أتى وعرضها من وجه جبل يقال له الآن: «جزل» الى أكثر من نصف جبل أبي قبيس، ويقال لهذين الجبلين: الأخشبان. أقول: والآن قد عم البناء غالب جبل أبي قبيس ونحو نصف جزل وجبل جِزَلّ(٢) اسمه الأحمر

---

(١) الشبيكة، تصغير الشبكة، من أعرق أحياء مكة يمتد من المسجد الحرام غرباً الى ريع الحفاير، وشمالاً الى حارة الباب. ومقبرتها أزيلت وموضعها الآن ملاصق للجسر الكبير الذي أقيم سنة ١٣٩٩هـ.
ينظر: معجم معالم الحجاز ١٨/٥، وينظر عنها وعن شبيكة أخرى: معجم البلدان لياقوت الحموي، رسم (الشبيكة)، والمجاز بين اليمامة والحجاز ص : ١٩٥/٧٩، ٢٠١،(ج)

(٢) في المطول (الإعلام). جزل: بكسر الجيم وفتح الزاي وتشديد اللام، وفي الأزرقي ٣/٢: الأخشبان جبلان يضافان تارة الى مكة وتارة الى منىٰ، أحدهما: أبو قبيس شرقاً، والآخر: قعيقعان غرباً. وكان يسمىٰ جزل، ويسمىٰ اليوم: جبل هندي لسكنىٰ الهنود فيه.. المحققان.
والأعرف. كان يعرف به في الجاهلية، وهو المعروف بالأحمر. ينظر: معجم البلدان، رسم (الأخشبان، قعيقعان، الأعرف)، ومعجم معالم الحجاز ٦٩/١ ـــ ٧١، والعقد الثمين ١/ ٣٢ ـــ ٣٤ (ج)

والأعرف وقعيقعان، وأمّا موضع الكعبة المعظمة فهو في وسط المسجد الحرام، والمسجد الحرام بين هذين الجبلين في وسط مكة، ولها شعاب كثيرة مزورة إذا أشرف الإنسان من جبل أبي قبيس لايرى جميع مكة بل يرى أكثرها وهي تَسَعُ خلقاً كثيرا، خصوصا في أيام الحج، فإنّه يرد إليها قوافل عظيمة من مصر والشام وحلب وبغداد والبصرة والحسا ونجد واليمن وبحر الهند والحبشة والشحر وحضر موت وعربان جزيرة العرب، وطوائف لايحصيهم إلاّ الله تعالى فتسعهم جميعهم، وتزيد عمارتها وتنقص بحسب الأزمان وبحسب الولادة والأمن والخوف والغلاء والرخاء، وهي الآن بحمد الله تعالى في دولة السلطان الأعظم السلطان مراد خان ومولانا السيد الشريف الحسن بن أبي نمي، عامرة كثيرة البيوت والمساكن وطول مكة بالذراع من باب المعلاة الى درب اليمن بالمسفلة مع مافيه من دورات ولفتات ليست على الاستقامة أربعة آلاف ذراع واثنان وسبعون ذراعاً، بذراع اليد وهو ينقص ثمن ذراع عن ذراع الحديد المستعمل الآن يعنى الذراع الشرعي، وطول مكة من باب المعلاة إلى باب الشبيكة أربعة الآف ذراع ومائة ذراع واثنان وسبعون ذراعا(بتقديم السين) بذراع اليد أيضا، ومكة شرّفها الله تعالى يحيط بها جبال لا تسلك إليها الخيل والإبل والأحمال إلا من ثلاثة مواضع، أحدها من جهة المعلاة، والثانية جهة الشبيكة والثالثة المسفلة، وأما الجبال المحيطة فيسلك من بعض شعابها الرجال على أقدامهم.

فائـــــدة
فى حكم بيع دور مكة وإجارتها

ذكر الإمام قاضي(١) خان أنه لايجوز بيع دورها عند أبي يوسف في ظاهر الرواية. وقيل: يجوز مع الكراهة وهو قول محمد وأبي يوسف قال(٢): صاحب (الواقعات) وعليه الفتوى. وقال:....(٣) بيع بناء مكة جائز اتفاقا لأن بناءها ملك الذى بناه، وأما بيع أرض مكة فلا يجوز عند أبي حنيفة وهو ظاهر الرواية وعند أبي يوسف يجوز، ورجّح الطحاوي قول أبي يوسف، وأمّا إجارة دور مكة فقد روى عن أبي حنيفة أنه كره إجارتها. وقال لهم: أن ينزلوا عليهم في دورهم اذا كان فضل وانْ لم يكن فلا وهو قول محمد.

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى أمير مكة ان لايدع أهل مكة يأخذون على بيوت مكة أجرا،فإنّه لايحل لهم وكانوا يأخذون ذلك خفية. وهذا مبنى على نص وهو: أنّ فتح مكة هل كان عنوة فتكون مغنومة ولم يقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقرها على ذلك فتبقى على ذلك لا تباع ولا تكرى، ومن سبق إلى موضع منها فهو أحق به. وكذا قول أبي حنيفة ومالك والأوزاعي أو كان فتحها صالحاً فتبقى ديارهم بأيديهم يتصرفون في أملاكهم كيف شاؤوا سكنا وإسكانا و بيعا وإجارة وغير ذلك، و به قال الشافعي وأحمد وطائفة من المجتهدين،وعليه عمل الناس قديما وحديثا.

واما أسماء مكة المشرفة فكثيرة منها: مكة والمعطشة و بكة والعروض(٤)

---

(١) ينظر: فتاوى قاضي خان، القاهرة. ٢ والعقد الثمين ١/٣٢ ــ ٣٤ (ج)

(٢) ينظر: القرى للطبري ص/٦٤٦ (ج)

(٣) بياض في الأصل،وفي المطول(الاعلام): وقال قوام الدين في: شرح الهداية...الخ

(٤) في الاعلام: ص ٩ ان الخليل بن أحمد إنما سمّى الشعر عروضاً لأنه اخترعه بها.وجاء فى نفس الصفحة عن كوثى لان كوثى اسم عمل من قعيقعان

والبلد الأمين والبلد والقرية وأم القرى وكوثى وأم كوثى(١) وفاران والمقدسة وقرية النحل والحاطمة والوادى والحرم(٢) والعرش وبرد وصلاح وطيبة ومعاد(٣) والباسة والناشة، وقد ألف صاحب القاموس(٤) رسالة في أسمائها وقال النووي: لايعرف في البلاد اكثر اسما من مكة والمدينة لكونهما أشرف الأرض، واعلم أن مكة والمدينة أفضل بقاع الأرض بالإجماع، ثم اختلف في أيهما أفضل، فذهب أبو حنيفة وأصحابه والشافعي وأصحابه والإمام أحمد وأصحابه الى ان مكة أفضل، وذهب مالك إلى أن المدينة أفضل، ومحل الخلاف سوى ماضم اعضاءه الشريفة صلى الله عليه وسلم. أما هو فلا خلاف في أنه أفضل بقاع الأرض كلها(٥).

اقول: «حتى من الكعبة ومن السموات حتى من العرش».

---

(١) ينظر عن أسمائها: تسمية مكة ونشوء اللغة، للأستاذ عبد الحق فاضل، مجلة (المورد م/٥ع/٤ص: ١٧ ــ ٢١، ١٩٧٦م)، وبحث: أسماء مكة المكرّمة في القرآن الكريم وكتب السيرة والأدب والتاريخ، للأستاذ اسماعيل أحمد اسماعيل، مجلة:(الدارة،ص: ١٤٠ ــ ١٥٦). السنة/٤ــالعدد الرابع، ١٣٩٩هـ. والقرى لمحب الدين الطبري ص/٦٥٠ وأسماء الكعبة المشرفة، للمرحوم محمد المكي بن الحسين التونسي، دمشق(الطبعة الثانية).(ج)

(٢) ينظر: الإعلام (المطول)ص/٩، وفيه: الحرام.

(٣) في الإعلام: ص/٩ (معاد..مبنياً على الكسر كحذام)..وانما سميت: معادِ، لقوله تعالى: «إن الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد». (ج)

(٤) هو: مجد الدين الفيروز آبادي. ورسالته هذه تعرف باسم: مهيج الغرام الى البلد الحرام. أو: كتاب مكة، وهو مخطوط، كان في خزانة المرحوم المحامي عباس العزاوي. و ينظر عن أسمائها(شرّفها الله): العقد الثمين ١/٣٥ ــ ٣٦، والأزرقي ١/٢٧٩ (ج)

(٥) جاء في كتاب: الوفا بما يجب لحضرة المصطفى لعلي السمهودي ص: ١٠٦ ما نصه:«لاخلاف ان البقعة التي ضمت أعضاء النبي صلّى الله عليه وسلّم أفضل بقاع الأرض على الاطلاق حتى موضع الكعبة المعظمة. ثم نقل عن تاج الدين الفاكهاني في كتابه:«البدر المنير»..قال: واقول أنا، وأفضل بقاع السموات أيضاً.. وقد جاء: ان السموات تشرفت بمواطىء قدميه صلّى الله عليه وسلّم.». ينظر: رسائل في تاريخ المدينة(رسالة الوفا) تحقيق الشيخ حمد الجاسرص/١٠٦ ــ ١٠٧ (ج)

وأما حكم المجاورة بمكة فذهب أبو حنيفة و بعض أصحاب الشافعي وجماعة من المحتاطين إلى كراهة المقام بها، وذلك لخوف سقوط حرمة البيت الشريف في نظره وقلة الاحترام بالتبسط إلى أن يذهب من قبله الاحترام والعياذ بالله. وذهب أبو يوسف والشافعي وأحمد بن حنبل إلى استحباب المجاورة بها وفي (المحيط والمبسوط) لابأس بالمجاورة بمكة في قولهما وأنه الأفضل، وعليه الناس وفي منسك الفارسي أن الفتوى على قولهما.

---

(١) ينظر آراء العلماء في المجاورة، في: القرى للطبري ص/٦٦٠، والعقد الثمين ١/٤٥ ومابعدها..(ج)



الباب الثانى

فى بناء الكعبة المعظمة



اعلم أن الكعبة بنيت مرات وقد اختلف في عدد بنائها، و يتحصل من مجموع ماقيل إنها بنيت عشر مرات وهي، بناء الملائكة عليهم السلام، و بناء آدم عليه السلام، و بناء أولاده، و بناء الخليل ابراهيم عليه السلام، و بناء العمالقة و بناء جرهم، و بناء قصي بن كلاب جد النبى صلى الله عليه وسلم، و بناء قريش قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم، وعمره الشريف يومئذ خمس وعشرون سنة، و بناء عبد الله بن الزبير بن العوام الأسدي، و بناء الحجاج بن يوسف الثقفي. فأما البناء الأول بناء الملائكة عليهم السلام، فهو أن الله تعالى قال للملائكة: إنى جاعل فى الارض خليفة قالوا: أتجعل من يفسد فيها و يسفك الدماء. قالت: اجعل ذلك الخليفة منا فنحن لا نفسد بها ولا نسفك الدماء. فقال الله: إنى أعلم مالا تعلمون. فظنت الملائكة ان ماقالوا: رد على ربهم وانه قد غضب فلا ذوا بالعرش ورفعوا رؤوسهم يضرعون و يبكون اشفاقا من غضبه وطافوا بالعرش ثلاث ساعات. فنظر الله تعالى إليهم ونزلت الرحمة عليهم ووضع إليه سبحانه وتعالى تحت العرش بيتا وهو البيت المعمور على أربعة أساطين من زبرجد تغشاهنّ ياقوتة حمراء، وقال للملائكة: طوفوا بهذا البيت فطافت الملائكة بهذا البيت وصار أهون عليهم من العرش، ثم بعث الله تعالى ملائكته وقال لهم: ابنوا لى بيتا في الأرض بمثاله وقد أمر الله تعالى من في الارض من خلقه أن يطوفوا بهذا البيت كما يطوف أهل السماء بالمعمور(١).

---

(١) ص٤/٣/٢ ج١ اخبار مكة للأزرقي، وتاريخ الكعبة المعظمة، وتاريخ عمارة المسجد الحرام، للأستاذ حسين عبد الله باسلامة، وفيها التفصيل..والعقد الثمين ٤٧/١ ــ ٥٢، و بناء الكعبة على قواعد ابراهيم، لأحمد عبد الغفور عطار.(ج)

وأما الثاني فبناء آدم عليه السلام عن ابن عساكر قال: لما أهبط الله آدم من الجنة قال: يارَبِّ مالى لا أسمع أصوات الملائكة قال: بخطيئتك ياآدم ولكن اذهب فابن لي بيتا فطف به واذكرنى حوله كما رأيت الملائكة تصنع حول عرشي. قال: فأقبل آدم يتخطى الأرض فطويت له ولم يضع قدمه في شيء من الأرض إلا صار عمرانا وبركة حتى انتهى إلى مكة فبنى البيت الحرام وأن جبريل عليه السلام ضرب بجناحه الأرض فكشف عن أسّ ثابت على الأرض السابقة فقذفت فيه الملائكة من الصخر ما لايطيق حمل الصخرة منها ثلاثون رجلا وانه بناه من خمسة أجبل من لبنان وطور سينا وطور زيتا والجودى وحراء حتى استوى على وجه الارض(١).

وهذا يدل على أن آدم عليه السلام إنما بنى أساس الكعبة حتى ساوى وجه الأرض ولعل ذلك بعدَ دُثُور مابنته الملائكة بأمر الله تعالى أولا ثم أنزل الله البيت المعمور لآدم عليه السلام يستأنس به فوضعه على أساس الكعبة وسأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه كعبا فقال: ياكعب اخبرني عن البيت الحرام قال: كعب أنزل الله من السماء ياقوتة مجوفة مع آدم فقال له: ياآدم هذا بيتي أنزلته معك يطاف حوله كما يطاف حول عرشى، ويصلى عنده كما يصلى حول عرشى، ونزلت معه الملائكة فوضعوا قواعده من حجارة، ثم وضع البيت بمكة، فكان آدم عليه السلام يطوف حوله كما يطاف حول العرش، ويصلى عنده كما يصلى عند العرش، فلما أغرق الله قوم نوح، رفعه الى السماء، وبقيت قواعده وعن أبي هريرة لما حج آدم وقضى المناسك قال: يارب إن لكل عامل أجرا قال الله تعالى :أما أنت ياآدم فقد غفرت لك وأما ذريتك فمن جاء منهم هذا البيت فباء بذنب غفرت له فاستقبلته الملائكة بالروم(٢) فقالوا: برّحجك ياآدم قد حججنا هذا

(١) ص ٥ ج ١ اخبار مكة للازرقي، والعقد الثمين..

(٢) كذا في الأصل — وفي الازرقي ص١٢(بالمأزمين) ورواية اخرى(بالطواف)وفي المطول ص ٣٦(ان المراد بهذا الروم الموضع الذى يقال له المدعى).وغالب الظن أن صحة الكلمة هى الردم بالدال لا الواو ومكانه المدعى.

البيت قبلك بألفي عام قال: وما كنتم تقولون حوله قالوا: كنا نقول : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر. قال: وكان آدم عليه السلام اذا طاف يقول هذه الكلمات. وكان طواف آدم سبعة أسابيع بالليل وخمسة بالنهار، وكان ابن عمر يفعل ذلك وقال الأزرقي(١): طاف آدم بالبيت سبعا، ثم صلى تجاه باب الكعبة ركعتين ثم، أتى الملتزم فقال: اللهم إنك تعلم سريرتي وعلانيتي فاقبل معذرتي وتعلم ما في نفسي وماعندي، فاغفر لي ذنوبي وتعلم حاجتي فأعطني سؤلي، اللهم إني أسألك إيماناً يباشر قلبي ويقيناً صادقاً حتى أعلم أنه لن يصيبني إلا ماكتبت لي، والرضا بما قضيت علي. قال: فأوحى الله إليه ياآدم قد دعوتني بدعوات فاستجبت لك ولن يدعوني بها أحد من ولدك إلا كشفت همومه وغمومه ونزعت الفقر من قلبه وجعلت الغنى بين عينيه واتجرت له من وراء كل تاجر وأتته الدنيا وهي راغمة وإن كان لايريدها. فمنذ طاف آدم عليه السلام كانت سنة الطواف.

وأما الثالث فبناء أولاد آدم، وروى الأزرقي قال: لما رفعت الخيمة التي ظلل الله بها آدم عليه السلام من حلية الجنة حين وضعت له بمكة في موضع البيت. ومات آدم عليه السلام فبنى بنو آدم من بعده مكانها بيتا بالطين والحجارة، فلم يزل معمورا يعمرونه هم ومن بعدهم حتى كان زمن نوح عليه السلام فنسفه الغرق وغير مكانه حتى بوىء لابراهيم عليه السلام.

وأما الرابع فبناء الخليل ابراهيم عليه الصلاة والسلام، قال السيد(٢) التقي الفاسي: أما بناء الخليل فهو ثابت بالكتاب وهو أول من بنى البيت على ماذكره الفاكهي عن عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه وجزم به ابن كثير في تفسيره وقال : لم يرد عن معصوم أن البيت كان مبنيا قبل الخليل

(١) ص ١٧ من الازرقي

(٢) العقد الثمين ج٤٧/١ (ج)

عليه السلام فهو لم يثبت عنده ماتقدم من البناء. وقال الأزرقي: إن الخليل عليه السلام لما بنى البيت جعل طوله في السماء تسعة أذرع وجعل طوله في الأرض من قبل وجه البيت الشريف من الحجر الاسود الى الركن الشامي اثنين وثلاثين ذراعاً وجعل عرضه في الأرض من قبل الميزاب من الركن الشامي الى الركن الغربي الذى يسمى الآن العراقي اثنين وعشرين ذراعا، وجعل طوله في الأرض من جانب ظهر البيت الشريف من الركن الغربي المذكور إلى الركن اليماني إلى الحجر الأسود عشرين ذراعا وجعل الباب لاصقا بالأرض غير مرتفع عنها حتى جعل لها تبّع الحميري بابا وغلقا بعد ذلك، وحفر ابراهيم عليه السلام في بطن البيت على يمين داخله حفرة لتكون خزانةللبيت يوضع فيها مايهدى إلى البيت، وكان ابراهيم عليه السلام يبنى واسماعيل عليه السلام ينقل له الأحجار على عاتقه فلما ارتفع البنيان قرب له المقام فكان يقوم عليه و يبنى ويحوله له اسماعيل عليه السلام في نواحى البيت حتى انتهى الى موضع الحجر الاسود، فقال ابراهيم لاسماعيل عليهما السلام: يااسماعيل ائتنى بحجر أضعه هنا يكون علما للناس يبتدئون منه الطواف فذهب اسمعيل في طلبه فجاء جبريل عليه السلام إلى سيدنا ابراهيم عليه السلام بالحجر الأسود وكان الله استودعه جبل ابي قبيس حين طوفان نوح عليه السلام(١) فوضعه جبريل في مكانه وبنى عليه ابراهيم وهو حينئذ يتلالأ نورا فأضاء بنوره شرقا وغربا وشاما ويمنا إلى منتهى أنصاب الحرم من كل ناحية. وانما سودته أنجاس الجاهلية وأرجاسها.

قال: ولم يكن ابراهيم عليه السلام سقّف البيت ولابناه بجدر، إنما رضمه رضما. وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أن جبريل عليه السلام نزل بالحجر على ابرهيم عليه السلام من الجنة وانه وضعه حيث رأيتم وانكم لاتزالون بخير مادام بين ظهرانيكم فتمسكوا به ما استطعتم فانه يوشك ان يجيء جبريل فيرجع به من حيث جاء به.

---

(١) ص ٢٧ ج١: الأزرقي

وقال الفاسي، روينا عن قتادة ان الخليل عليه السلام بنى البيت من خمسة أجبل من طور سيناء وطور زيتا ولبنان والجودى وحراء. قال وذكر لنا انه أسس البيت من ستة أجبل من أبي قبيس ومن الطور ومن القدس ومن ورقان ومن رضوى ومن أحد، وروى الأزرقي عن مجاهد انه قال: كان موضع الكعبة قد خفي ودرس زمن الطوفان فيما بين نوح وإبراهيم عليهما السلام قال: وكان موضع البيت أكمة حمراء لا تعلوها السيول غير ان الناس كانوا يعلمون أن موضع البيت فيما هنالك من غير تعيين محله وكان يأتيه المظلوم والمتعوذ من أقطار الأرض ويدعو عنده المكروب وما دعا عنده أحد الا استجيب له وكان الناس يحجون الى موضع البيت حتى بوأ الله مكانه لابراهيم عليه السلام لما أراد عمارة بيته وإظهار دينه(١) وشعائره فلم يزل منذ أهبط الله آدم إلى الأرض معظما محترما عند الأمم والملل.

وفي كتاب(العرائس في قصص الانبياء)(٢) للثعلبي: لما نجى الله خليله من نار النمرود، وآمن به من آمن، خرج مهاجرا الى ربه وتزوج ابنة عمر سارة وخرج بها يلتمس الفرار بدينه والأمان على نفسه ومن معه فقدم إلى مصر وبها فرعون من الفراعنة الأولى وكانت سارة من أحسن النساء وكانت لا تعصى ابراهيم عليه السلام ولذلك اكرمها الله تعالى فأتى إبليس الى فرعون وقال له: ان ههنا رجلا معه امرأة من أحسن النساء، فأرسل الجبار الى ابراهيم، وقال له ماهذه المرأة منك؟ فقال: هي اختى، وخاف ان قال امرأتى أن يقتله فقال له : زينها وأرسلها إلي، فرجع ابراهيم إلى سارة فقال لها: إن هذا الجبار قد سألنى عنك فأخبرته أنك أختى فلا تكذبينى عنده فانك اختى فى كتاب الله تعالى فانه ليس مسلم في هذه الارض غيرى وغيرك، ثم اقبلت سارة الى الجبار وقام ابراهيم يصلى وقد رفع الله الحجاب بين ابراهيم وسارة ينظر اليها منذ فارقته إلى أن عادت إليه إكراما وتطييبا

(١) في المطول والأزرقي ص ١٨ ج١(وشرائعه)

(٢) قصة الخليل (ج)

لقلب ابراهيم فلما دخلت سارة على الجبار رآها فدهش من حسنها فلم يملك نفسه أن مد يده إليها فيبست يده على صدره، فلما رأى ذلك أعظم أمرها وقال لها: سلى ربك أن يطلق يدى علي فوالله انى لاأوذيك، فقالت سارة: اللهم إن كان صادقا فاطلق له يده، فوهب لها هاجر. وهي جارية قبطية جميلة. وردها إلى ابراهيم. فأقبلت اليه. فلما احس بها انفتل من صلاته. وقال مهيم: قالت : كفى الله كيد الفاجر. ووهبنى هاجر. وقد وهبتها لك لعل الله تعالى يرزقك منها ولدا وكانت سارة قد منعت الولد حتى أيست. فوقع ابراهيم على هاجر فحملت. وولدت اسماعيل. وأقام ابراهيم بناحية من أرض فلسطين، من الرملة وأيلياء. وهو يضيف من يأتيه. وقد أوسع الله اليه، وبسط له الرزق والمال والخدم.

فلما أراد الله تعالى إهلاك قوم لوط. بعث الله تعالى رسله. يأمرونه بالخروج من بين ظهرانيهم. وأمرهم ان يبدأوا فيبشرونه وسارة باسحق، ومن وراء اسحق(١) يعقوب فلما نزلوا عليه سر بهم وقال لايخدمهم إلا أنا، فخرج فجاء بعجل سمين مشوي بالحجارة فقربه اليهم، فأمسكوا أيديهم فنكرهم وأوجس منهم خيفة حيث لم يأكلوا من طعامه ثم قالوا: لاتخف انا أرسلنا الى قوم لوط وامرأته سارة قائمة تخدمهم فبشروه باسحق ومن وراء اسحق يعقوب فضحكت سارة. قال ابن عباس: تعجبا من أن يكون لها ولد على كبر سنها وكانت بلغت تسعين سنة وبلغ ابراهيم مائة وعشرين سنة، وقال مجاهد وعكرمة: ضحكت أى حاضت في الوقت. قال السدي : فحملت سارة باسحاق وكانت حملت هاجر باسماعيل فوضعتا وشب الغلامان فتسابقا فسبق اسماعيل فأخذه ابراهيم فأجلسه في حجره، وأخذ اسحق إلى جنبه فغضبت سارة وقالت: عمدت إلى ابن الأمة فأجلسته في حجرك وعمدت الى ابنى فأجلسته الى جنبك وأخذها مايأخذ النساء من الغيرة فحلفت

---

(١) الآية ٧١ سورة هود(وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب).

لتقطعن منها بضعة ولتغيرن خلقتها ثم ثاب اليها عقلها، فتحيرت في يمينها. قال لها ابراهيم: احفظيها واثقبي أذنها ففعلت فصارت سنة في النساء ثم تضارب اسماعيل واسحق كما يتهاوش الأطفال فغضبت سارة على هاجر، وحلفت أن لا تساكنها في بلد واحد، وأمرت ابراهيم أن يعزلها عنها فأوحى الله تعالى الى ابراهيم ان يأتي بهاجر الى مكة فذهب بها حتى قدم مكة. وهي اذ ذاك عضاة(١) وسلم. وموضع البيت ربوة حمراء، فعمد بها الى موضع الحجْر(٢) ــ بسكون الجيم ــ فأنزلها فيه. وأمرها أن تتخذ عريشا ثم انصرف فتبعته هاجر. فقالت آلله أمرك بهذا؟ قال نعم. قالت اذا لايضيعنا. فرجعت عنه وكان معها شن ماء فنفد فعطشت وعطش ولدها، فنظرت الى الجبل، فلم تر داعيا، ولا مجيبا، فصعدت على الصفا، فلم تر احدا، ثم هبطت وعينها(٣) من ولدها. حتى نزلت فى الوادى، وغابت، فهرولت حتى صعدت من الجانب الآخر، فرأته، واستمرت الى أن صعدت المروة، فما رأت احدا، وترددت كذلك سبعا، فعادت الى ولدها، وقد نزل جبريل عليه السلام فضرب موضع زمزم بجناحه فنبع الماء، فبادرت هاجر إليه. وحبسته من السيلان كي لا يضيع الماء، وفي لفظ النبوة: لولا أنها عجلت لكان عينا معينا فشربت وارتضعت(٤) ولدها، قال لها جبريل: لاتخافى من الضيعة، فان ههنا بيتا لله عز وجل يبنيه هذا الغلام وأبوه، وان الله لايضيع أهله، ولماء زمزم من الشرف والخواص والمزايا مالا يوجد لغيره، ففي المستدرك من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا (ماء زمزم لما شرب له)، ورجاله موثوقون وتفصيل فضائله في كتب الحديث والتواريخ، فمن ارادها فليراجعها(٥). قالوا ومرت رفقة من جرهم يريدون الشام فرأوا طيرا

(١) ص ١٩ ج١: الأزرقي(عضاة من سلم وسمر)

(٢) العقد الثمين ١/٤٩.(ج)

(٣) كذا في الاصل. ولعل الصواب(الى أو على ولدها)

(٤) كذا في الاصل. والصواب(ارضعت)كما في المطول ص ١٦

(٥) ينظر: القرى ص/٤٨٣ ــ ٤٩١، والأزرقي ٢/٤٩، والعقد الثمين ١/٩٠ (ج)

على جبل أبى قبيس فقالوا ان هذا الطير يحوم على ماء فتتبعوه فأشرفوا على بئر زمزم فقالوا لهاجر: إن شئت نزلنا معك وآنسناك والماء ماؤك نشرب منه، فأذنت لهم فنزلوا معها وهم أول سكان مكة، ثم توفيت هاجر، وقبرها فى الحجْر ــ بسكون الجيم ــ وشب اسماعيل فتزوج من جرهم وتكلم بلسانهم فتعرب فيقال لبنى اسماعيل العرب المتعربة، و يقال لجرهم وقحطان العرب العاربة العرباء وكان لسان ابراهيم عبرانيا ولسان اسماعيل عربيا.

ثم ان ابراهيم عليه السلام قدم مكة وبنى بها البيت الشريف كما قدمناه فلما فرغ من بناء البيت الحرام أمره الله أن يؤذن في الناس بالحج قال :يارب وماعسى ان يبلغ مدى صوتى؟ فقال عليك الأذان وعلينا البلاغ فطلع على جبل ثبير ونادى ياعباد الله ان ربكم قد بنى بيتا وأمركم أن تحجوه فأجيبوا داعى الله، فأسمع الله صوته جميع من في الدنيا ومن سيولد ممن هو في أصلاب الآباء وأرحام الأمهات إلى يوم القيامة فأجابه من سبق في علم الله ان سيحج ولبى كل واحد بقدر حجه في أصلاب الآباء وأرحام الأمهات.

قال الأزرقي(١) ثم ولد لاسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام من زوجته السيدة رغلة بنت مُضَاض بن عمرو الجرهمي اثنا عشر رجلا منهم ثابت بن اسماعيل وقيذار بن اسماعيل وقطور بن اسماعيل وكان عمر اسماعيل مائة وثلاثون(٢) عاما ومات ودفن بالحجر مع أمه فولى البيت بعده ثابت بن اسماعيل ونشر الله العرب من ثابت وقيدار فكثروا ونموا ثم توفي ثابت فولى البيت بعده جده لأمه مضاض بن عمر الجرهمي وضم بنى ثابت بن اسماعيل فصار ملكا عليهم وعلى جرهم فنزلوا قعيقعان بأعالى مكة وكانوا

---

(١) أخبار مكة ٣٩/١.

(٢) كذا في الاصل. والصواب (ثلاثين)

أصحاب سلاح كثير و يتقعقع منهم، وصارت العمالقة وكانوا نازلين بأسفل مكة الى رجل منهم ولوه ملكا عليهم يقال له السميدع وتم الأمر لمضاض بن عمرو ثم نشر الله بني اسماعيل وخولتهم(١) وكانت جرهم ولاة البيت لاينازعهم بنو اسماعيل لخولتهم وقرابتهم فلما ضاقت عليهم مكة انتشروا في الأرض فلا يأتون قوما ولاينزلون بلدا إلا أظهرهم الله عليهم بدينهم وهو يومئذ دين ابراهيم حتى ملاوا البلاد ونفوا العماليق. ثم ان جرهما استخفت بأمر البيت الحرام وارتكبوا الأمور العظام، وأحدثوا فيها ما لم يكن قبل ذلك فقام فيهم مضاض بن عمرو خطيبا ياقوم: احذروا البغي، فقد رأيتم من كان قبلكم من العماليق، كيف استخفوا بالبيت، فلم يعظموه، فسلطكم الله عليهم فأخرجتموهم فتفرقوا فى البلاد، وتمزقوا كل ممزق، فلا تستخفوا بحق بيت الله تعالى فيخرجكم منه. فلم يطيعوه ودلاهم الشيطان بغرور. وقالوا: من يخرجنا؟ ونحن أعز العرب، واكثرهم رجالا، وسلاحا؟ فقال لهم: إذا جاء أمر الله بطل ماتقولون.

فلما رأى مضاض بن عمرو ذلك، عمد إلى غزالتين من ذهب كانتا للكعبة، وماوجد فيها من الأموال التى كانت تهدى للكعبة فدفنها في بئر زمزم، وكانت بئر زمزم قد نضب ماؤها. فحفرها بالليل، وأعمق ودفن فيها تلك الغزالتين، والأموال فحطم البئر، واعتزل جرهما، واخذ معه بنى اسماعيل. وخرج من مكة، فجاءت خزاعة(٢) فأخرجت جرهما من البلاد ووليت أمر مكة، وصاروا اهلها، فجاءهم بنو اسماعيل وكانوا قد اعتزلوا حرب جرهم وخزاعة. فسألوا خزاعة: السكن معهم بمكة فأذنوا لهم. وسألهم في ذلك مضاض بن عمرو الجرهمي وكان قد اعتزل أيضا حرب جرهم وخزاعة ولم يدخل بينها، واستأذنهم أن يساكنهم فأبت خزاعة ذلك وقالوا:

---

(١) كذا في الاصل. والصواب (خؤولتهم)

(٢) جاء في الازرقي ص ٤٦ ج ١(ان ملك خزاعة، دام ثلاثمائة عام)

من قارب الحرم من جرهم فدمه هدر وانطلق مضاض بن عمرو ومن معه الى اليمن، وهم يحزنون على مفارقة مكة. وحازت خزاعة حجابة بيت الله الحرام وولاية أمر مكة، وفيهم بنو اسماعيل لا ينازعونهم على شيء، ولايطلبونه إلى أن كبر شأن قصي بن كلاب بن مرة، فاستولى على حجابة البيت وأمر مكة، وكان قصي أول رجل من بني كنانة اصاب مكة ملكا فكانت اليه الحجابة والرفادة، والسقاية، والندوة واللواء والقيادة، وهو الذى جمع أمر قريش، فسمي مجمعا بكسر الميم، وقيل سميت قريشا لتجمعهم على قصي . والتقرش هو الاجتماع. وماكانت تسمى قريش قبل ذلك قريشا(١).

وأما الخامس والسادس: فبناء العمالقة وجرهم، ذكر الأزرقي عن علي ابن ابى طالب رضي الله عنه انه قال في خبر بناء ابراهيم الكعبة: ثم انهدم فبنته قبيلة من جرهم، وذكر الفاكهي عن علي بن ابي طالب انه قال: اول من بنى البيت ابراهيم عليه السلام ثم انهدم، فبنته جرهم، ثم بنته العمالقة. وقال الفاسي: هذا يقتضى ان جرهماً بنته أولا.

والخبر الاول يقتضى أن العمالقة بنته قبل جرهم. وجزم به المحب الطبري(٢) في (القرى)، وذكر المسعودى في(مروج الذهب) ان الذى بنى الكعبة من جرهم هو الحارث بن مضاض الاصفر،وانه زاد في بناء الكعبة ورفعه كما كان عليه بناء ابراهيم عليه السلام، والله أعلم بحقيقة الحال.

وذكر الأزرقي عن ابن عباس أنه قال: كان بمكة حيّ يقال لهم: العماليق. كانوا في عز وثروة وكانت لهم خيل، وإبل، وماشية ترعى حول

---

(١) ص ٦٠ ج١ الأزرقي، واللسان والتاج مادة:(ق/ر/ش).

(٢) ينظر: القرى ص/٣٣٧، ومكة والمدينة لأحمد شريف ص/٩٥، وتاريخ الكعبة ص: ١٣ ــ ١٧، والعقد الثمين ٤٧/١.(ج)

مكة. وكانت العضاة ملتفة، والارض مبتلة، وكانوا في عيش رضي. فبغوا في الأرض وأسرفوا على انفسهم. وأظهروا الفساد والإلحاد. وتركوا شكر الله، فسلبوا نعمتهم وكانوا يكرون بمكة الظل، و يبيعون الماء. فأخرجهم الله من مكة بأن سلط عليهم النمل، حتى خرجوا من الحرم، ثم ساقهم بالجدب حتى الحقهم الله تعالى بمساقط رؤوس آبائهم ببلاد اليمن. فتفرقوا وهلكوا وأبدل الله بعدهم الحرم بجرهم، فكانوا سكانه إلى أن بغوا فيه ايضا فأهلكهم الله جميعا.

وأما السابع: فبناء قصي، ذكر الزبير بن بكار قاضي مكة في كتاب(النسب)(١) ان قصي بن كلاب، لما ولى أمر البيت جمع نفقة، ثم هدم الكعبة،فبناها بنيانا لم يبنه أحد ممن بناها قبله مثله، وقال الماوردي: اول من جدد بناء الكعبة من قريش بعد ابراهيم، قصي بن كلاب وسقفها بخشب الدوم وجريد النخل، وكان مبدأ أمر قصي أن أباه كلاب بن مرة تزوج فاطمة بنت سعيد بن سيل. فولدت له زهرة وقصيا، فهلك كلاب(٢)، وقصي صغير، فتزوجت والدته بربيعة بن حزام، فوصل بها الى الشام وولدت له زراحا. فلما كبر قصي وقع بينه وبين آل ربيعة شر، فعيروه بالغربة وقالوا له: الا تلحق بقومك! وكان لايعرف له أبا غير ربيعة بن حزام زوج أمه فشكى اليها ما عيروه. فقالت له: ياولدى أنت أكرم آباء منهم وقومك عند البيت الحرام. فقدم مكة فعرف له قومه فضله وقدموه وأكرموه. وكانت خزاعة مستولية على البيت الحرام وسدانته. فخطب إلى خليل(٣) ابنته حُيَىْ فزوجه بها وكثرت أولاده وأمواله، وعظم شرفه. وهلك خليل وأوصى بمفتاح البيت الشريف لابنته حُيَىْ(٤). فقالت: لاأقدر على

---

(١) النسب، وطبع باسم: نسب قريش، والنص في: تاريخ الكعبة ص/٤٧(ج)

(٢) ينظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص/١٤، والمحبر ص/٣ ـــ ٧.(ج)

(٣) ص ٢١ المطول (خليل بن جيشة كبير خزاعة)

(٤) ص ٢١ المطول (ابنته عيس)

السدانة، فجعلت ذلك لأبى غبشان، وكان سكيرا فأعوزه بعض الاوقات مايشرب من الخمر. فباع مفتاح البيت بزق خمر. فاشتراه منه قصي فلما صار اليه المفتاح تناكرته خزاعة وكثر كلامها عليه. فأجمع على حربهم، فحاربهم وأخرجهم من مكة. وولى قصي أمر الكعبة ومكة وجمع قومه، وملكوه على أنفسهم. وكانوا يحترمون أن يسكنوا مكة و يعظمونها، عن أن يبنوا بها بيتا مع بيت الله، فكانوا يكونون بها نهاراً فاذا أمسوا خرجوا الى الحل، ولايستحلون الجنابة بمكة، فلما جمع قصي قومه اليه اذن لهم أن يبنوا بمكة بيوتا، وأن يسكنوها. وقال لهم: انكم ان سكنتم الحرم حول البيت، هابتكم العرب ولم تستحل قتالكم ولايستطيع أحد إخراجكم. فقالوا له: أنت سيدنا، ورأينا تابع لرأيك، فجمعهم حول البيت. وابتدأ هو و بنى الندوة(١)، والندوة في اللغة الاجتماع وكانوا يجتمعون فيها للمشورة وغيرها من الجهات، فلا تنكح امرأة، ولايتزوج رجل من قريش إلا فيها.

قال الأزرقي: ولم يدخلها من قريش ولاغيرهم إلا ابن أربعين سنة، وقسم جهات البيت الشريف بين طوائف قريش، فبنوا دورهم حول الكعبة الشريفة من الجهات الأربع، وتركوا للطواف ببيت الله تعالى،مقدار المطاف في القديم. و يقال: إنه المفروش الآن حول البيت الشريف بالحجر المنحوت المسمى بالمطاف الشريف، وشرعوا أبواب بيوتهم إلى نحو البيت، وتركوا مابين كل بيتين طريقا منه ينفذ إلى المطاف إلى أن زاد عمر رضي الله عنه في المسجد، وتبعه عثمان وتبعهما غيرهما على ماسيأتي تفصيله ان شاء الله تعالى، وكان قد اجتمع لقصي مالم يجتمع لغيره من المناصب، فكان بيده الحجابة والسقاية والرفادة والندوة واللواء والقيادة، فلما كبر سنه، وضعف بدنه، قسمها بين أولاده، وكان عبد الدار أكبر أولاده. وكان عبد مناف شرف في زمان أبيه، فقال قصي لعبد الدار: لألحقنك يابني بالقوم،

(١) الأزرقي ١٠٩/٢ (ج)

وان شرفوا عليك فأعطاه الحجابة وسلم اليه مفتاح البيت وقال: لايدخل أحد منهم الكعبة حتى تفتحها له، واعطاه السقاية واللواء. وقال: لايشرب أحد إلا من سقايتك، ولايعقد لواء قريش لحربها إلا أنت بيدك وجعل الرفادة وقال: لا يأكل أحد من هذا الموسم طعاما إلا من طعامك.

وكان قصي لايخالف ولايرد عليه شيء صنعه لعظم شأنه ونفاذ سلطانه. ثم إن قصيا مات فأقام على أمره بنوه من بعده. ثم ان بنى عبد مناف: هاشما وعبد شمس والمطلب ونوفلا اجمعوا على أن يأخذوا مابأيدى بنى عبد الدار من الحجابة واللواء، والسقاية، والرفادة. ورأوا أنهم أولى بذلك منهم لشرفهم عليهم وفضلهم.

وتفرقت قريش. فكانت طائفة يرون أن بنى عبد مناف أحق وطائفة يرون إبقاء بنى عبد الدار على ماجعله قصي لأبيهم. فأجمعوا على الحرب. ثم اصطلحوا على أن تكون السقاية والرفادة لبنى عبد مناف والحجابة واللواء والندوة لبنى عبد الدار. وتحالفوا على ذلك. فولي الرفادة والسقاية هاشم. وكان عبد شمس سفارا مقلا وكان هاشم موسرا وهو أول من بنى الرحلتين وأول من أطعم الثريد بمكة ثم مات هاشم بغزة من أرض الشام فولى السقاية والرفادة أخوه المطلب بن عبد مناف، وكان ذا شرف وكرم.وتوفي برومان من أرض اليمن ثم ولي عبد المطلب بن هاشم السقاية والرفادة، بعد عمه المطلب فأقام لقومه، ماكانت تقيمه آباؤه، فشرف في قومه شرفا لم يبلغه أحد من آبائه، وأحبه قومه وكان له ولد واحد اسمه الحارث. فقال له عدي ابن نوفل: أتستطيل علينا وأنت فذّ لا ولد لك فقال له عبد المطلب: أو بالقلة تعيرنى؟ فوالله لئن أتاني عشرة من الولد لأنحرن أحدهم عند الكعبة فلما رزقه الله عشرة أولاد جمعهم وأخبرهم بنذره. ودعاهم إلى الوفاء لله بذلك فأطاعوه وقالوا له أوف بنذرك قال: ليأخذ كل واحد منكم قدحا فيكتب فيه اسمه ثم آتونى ففعلوا ودخل بهم على هبل وهو صنم كان يعبد في جوف الكعبة وقال عبد المطلب لصاحب القداح اضرب على هؤلاء

بقداحهم واعطاه كل واحد قدحه وكان عبد الله بن عبد المطلب أصغرهم سنا. وأحبهم إلى والده فضرب صاحب القداح فخرج السهم على عبد الله فأخذ عبد المطلب بيده وأخذ الشفرة ثم أقبل به على أساف وهو صنم كان على الصفا ليذبحه عنده فجذب سادة قريش عبد الله من تحت رجل أبيه وقالوا: إن فعلت هذا لايزال الرجل يأتي بابنه فيذبحه فما بقاء الناس على هذا ولكن أعذر فيه ونفديه بأموالنا وكان بالحجاز عرافة كاهنة لها تابع من الجن فانطلقوا حتى قدموا عليها وقص عليها عبد المطلب خبر نذره فقالت لهم: ارجعواعنى اليوم، حتى يأتينى تابعي فأسأله. فرجعوا من عندها ثم غدوا عليها فقالت لهم: كم الدية فيكم؟ فقالوا: عشرة من الابل فقالت: قربوا عن ابنكم عشرة من الابل ثم اضربوا عليها وعلى ولدكم واستمروا كذلك الى ان يخرج السهم على الابل فانحروها فقد رضي ربكم ونجى ولدكم فقربوا عشرة من الابل فعشرة حتى بلغت الابل مائة، فخرج القدح على الابل فاعادوه ثانية ثم ثالثة فخرج القدح على الابل، فأتى بها فنحرت ثم تركت لايمنع من لحومها آدمى ولا وحش ولاطير.

قال الزهرى: وكان عبد المطلب أول من سن دية النفس مائة من الابل.

وأما الثامن: فبناء قريش قال خاتمة الحفاظ الشيخ محمد الصالحي الشامي في (سيرته)(١): إن امرأته جمرت الكعبة بالبخور فطارت شرارة من مجمرها في ثياب الكعبة فاحترق أكثر خشبها ودخلها سيل عظيم فصدع جدرانها بعد توهينها. فأرادوا ان يشيدوا بنيانها و يرفعوا بابها حتى لايدخلها الا من شاء وكان البحر قد رمى بسفينة الى ساحل جدة لتاجر رومي اسمه باقوم ــ بموحدة وقاف ــ وكان نجارا بناء، فخرج الوليد بن المغيرة في نفر

(١) هذه السيرة مشهورة بالسيرة الشامية وسماها المؤلف: (سبيل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد) وهي أكبر كتب السيرة وأجمعها للروايات توجد منها نسخة كاملة بمكة المكرمة في المكتبة الدهلوية في ثمانية مجلدات كبار ونسخة اخرى ناقصة في المكتبة الماجدية.

من قريش الى جدة. فابتاعوا خشب السفينة وكلموا(باقوم) الرومي أن يقدم معهم الى مكة فقدموا إليها فأخذوا أخشاب السفينة وأعدوها لسقف الكعبة.

قال الأموي: كانت هذه السفينة لقيصر ملك الروم يحمل فيها الرخام والخشب والحديد مع باقوم إلى الكنيسة التي أحرقها الفرس بالحبشة، فلما بلغت قريبا من مرسى جدة بعث الله عليها ريحا فحطمتها ــ اهـ.

قال ابن إسحق: وكان بمكة قبطي يعرف نجر الخشب وتسويته، فوافقهم أن يعمل لهم سقف الكعبة، ويساعده باقوم.

«قال» : وكانت حية عظيمة تخرج من بئر الكعبة التي يطرح فيها مايهدى إلى الكعبة، تشرف على جدار الكعبة لايدنو منها أحد الا كشت وفتحت فاها وكانوا يهابونها ويزعمون أنها تحفظ الكعبة وهداياها، وأن رأسها كرأس الجدي وظهرها وبطنها أسود، وأنها أقامت فيها خمسمائة سنة.

قال ابن عتبة: فبعث الله طيرا فاختطفها وذهب بها. فقالت قريش: نرجو ان يكون الله رضي لنا بما أردنا فعله، فأجمع رأيهم على هدمها وبنائها. قال ابن هشام: فتقدم عائذ بن مخذوم، وهو خال أبى النبي صلى الله عليه وسلم، فتناول حجرا من الكعبة، فوثب من يده حتى رجع إلى مكانه. فقال يامعشر قريش. لاتدخلوا في بنيانها من أموالكم إلا حلالاً طيبا ليس فيه مهر بغي، ولاربا ولامظلمة. ثم إن قريشا اقتسمت جوانب البيت، فكان شق الباب لبنى زهرة، وبنى عبد مناف. وما بين الركن الاسود والركن اليماني لبنى مخزوم ومن انضم اليهم من قريش. وكان ظهر الكعبة لبنى جمح، وبنى سهم. وكان شق الحجر لبني عبد الدار، وبني أسد بن عبد العزى وبني عدى بن كعب وجمعوا الحجارة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل معهم حتى انتهى الهدم إلى الأساس. فأفضوا الى حجارة خضر كالأسنمة، فضربوا عليها بالمعول فخرج برق كاد ان يخطف، البصر فانتهوا عند ذلك الأساس.

ثم بنوها حتى بلغ البنيان موضع الركن، فاختصم من القبائل كل قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه، وكادوا يقتتلون على ذلك. فقال لهم أبو أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو المخزومي وكان شريفا مطاعا: اجعلوا الحكم بينكم فيما اختلفتم فيه، أول من يدخل من باب الصفا.فقبلوا منه ذلك فكان أول داخل رسول الله صلى الله عليه وسلم. فلما رأوه قالوا: هذا محمد الأمين. وكان يسمى قبل أن يوحى اليه أميناً لأمانته وصدقه، فقالوا جميعاً: رضينا بحكمه، ثم قصوا عليه قصتهم. فقال صلى الله عليه وسلم : هلم إلي ثوباً، فأتي به فأخذ الركن فوضعه بيده فيه ثم قال : ليأخذ كبير كل قبيلة بطرف من هذا االثوب. فحملوه جميعا وأتوا به ورفعوه الى مايحازى موضعه فتناوله رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضعه بيده الشريفة في محله. ولما بنت قريش الكعبة جعلت ارتفاعها من خارجها ثمانية عشر ذراعا منها تسعة اذرع على ماعمره الخليل عليه السلام ونقصوا من عرضها اذرعا من جهة الحجر لقصر نفقة الحلال التى أعدوها لعمارة الكعبة، ورفعوا بابها عن الأرض ليدخلوا فيها من شاءوا، ويمنعوا من شاءوا، وجعلوا في داخلها ست دعائم في صفين ثلاث(١) في كل صف من شق الحجر الى الشق اليماني، وجعلوا في ركنها الشامي من داخلها درجة يصعد منها إلى سطح الكعبة.

واما التاسع : فبناء(٢) عبد الله بن الزبير الكعبة الشريفة في زمن الاسلام، وسيأتي في الباب الثالث فيما كان عليه وضع المسجد الحرام تفصيل ذلك ان شاء الله.

وأما العاشر : فبناء الحجاج بن يوسف الثقفي ، وسيأتي في الباب الثالث عقب بناء الزبير.

---

(١) كذا في الأصل والمطول والصواب (ثلاثا).

(٢) العقد الثمين ٤٨/١ — ٤٩ (ج)

فصــــــل

في تحلية الكعبة الشريفة وبابها وقناديلها بالذهب والفضة

قال الأزرقي (١) : أول من حلى الكعبة في الجاهلية عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم بالغزالتين الذهب اللتين وجدهما في بئر زمزم لما حفرها وقال: أول من ذهّب البيت في الإسلام عبد الملك بن مروان. وقال المُسَبِّحي بما يقتضي خلاف ذلك. فقال : أول من حلى البيت عبد الله بن الزبير جعل على الكعبة وأساطينها صفائح الذهب، وجعل مفاتيحها من الذهب. ذكر الفاكهي أن الوليد بن عبد الملك بعث إلى واليه على مكة خالد بن عبد الله القسري بستة وثلاثين الف دينار يضرب منها على باب الكعبة صفائح الذهب، وعلى ميزاب الكعبة، وعلى الأساطين التي في جوف الكعبة، وعلى أركانها من داخل.

وذكر الأزرقي أن الأمين بن هارون الرشيد أرسل الى عامله على مكة سالم بن الحجاج بثمانية عشر ألف دينار ليضرب بها صفائح الذهب على بابي الكعبة، فقلع ماكان على الباب من الصفائح، وزاد عليها الثمانية عشر ألف دينار، فضربها صفائح واستمرت على الباب وجعل مساميرها وحلقتي الباب واعتابه من الذهب، وذكر أيضا أن حجبة الكعبة أرسلوا الى المتوكل العباسي يذكرون له أن زاويتين من زوايا الكعبة من داخلها مصفح (٢) بالذهب وزاويتين مصفحتين (٣) بالفضة، والأحسن أن تكون كلها ذهبا.

(١) ينظر: الأزرقي ٢٥٢/١، والعقد الثمين ٥٦/١ـ٥٧ (ج)

(٢) كذا في الأصل والصواب(مصفحتان)

(٣) كذا في الأصل والصواب(مصفحتان)

فأرسل المتوكل إلى اسحاق بن سلمة الصائغ وأمره بعمل ذلك، فكسر اسحاق تلك الزوايا وأعادها من الذهب وعمل منطقة من فضة ركبها فوق إزار الكعبة من داخلها(١) عرضها ثلثا ذراع وجعل لها طوقا من الذهب منفصلا بهذه المنطقة.

قال: وكان أسفل الباب عتبة من خشب ساج قد رثت وتآكلت فأبدلها بخشب آخر وألبسه صفائح من فضة. قال اسحاق الصائغ: فكان مجموع الزوايا والطوق الذهب ثمانية آلاف مثقال، ومنطقة الفضة وما على الباب من الفضة وما حلى به المقام من الفضة سبعين الف درهم. وذكر الفاسي بعد مانقل ماذكر فقال: إن الحجبة كتبوا الى المعتضد العباسي: أن بعض ولاة مكة قلع أيام الفتنة عضادتي الباب من الكعبة، وغيرهما وسبكهما(٢) دنانير وصرفها على رفع الفتنة، فأمر المعتضد باعادة ذلك جميعه وأعيد كما أشار به. قال: ومن ذلك أن أم المقتدر الخليفة العباسي أمرت غلامها لؤلؤا أن يلبس جميع أسطوانات البيت الشريف ذهبا ففعل ذلك في سنة عشر وثلثمائة.

قال(٣): وممن أن الوزير جمال الدين محمد بن علي بن منصور المعروف بالجواد وزير صاحب مصر أنفذ في سنة تسع وأربعين وخمسمائة جنيه حاجبه إلى مكة ومعه خمسة آلاف دينار، ليعمل بها صفائح الذهب والفضة في أركان البيت من داخلها.

قال: وممن حلاها الملك المظفر الغساني(٤) صاحب اليمن، وحلاها حفيده، والملك المجاهد(٥) صاحب اليمن أيضا، ثم ان الملك الناصر محمد بن

---

(١) في الأصل (عرضا) ــ والتصحيح من المطول

(٢) في الأصل(وسكة) والتصحيح من المطول.

(٣) العقد الثمين ٥٩/١(ج)

(٤) انظر: ص ٥٥٢ مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن.

(٥) انظر: ٥٧١. المصدر السابق.

قلاوون الصالحي صاحب مصر، حلى باب الكعبة الذى عمله لها بخمسة وثلاثين ألف درهم، وأن حفيده الملك الأشرف شعبان حلى باب الكعبة في سنة ست وسبعين وسبعمائة اهـ.

قال شيخنا رحمه الله: وقد أدركنا الباب الشريف مصفحا بالفضة وكان يختلس من فضته أوقات الغفلة من قل دينه، الى أن انكشف أسفل الباب الشريف، وظهر الخشب و«مسك مرارا من يفعل ذلك وحبس ويهدل»!! فعرض ذلك على المرحوم المقدس السلطان سليمان خان بوأه الله أعلى الجنان في سنة إحدى وستين وتسعمائة، فبرز الأمر الشريف السلطاني بتصفيح الباب الشريف بالفضة إلى ناظر الحرم الشريف وهو إذ ذاك أحمد حلبي المقاطعجي صهر محمد بن سليمان دفتر دار مصر، وكان وصوله إلى مكة في افتتاح سنة ثمان وخمسين وتسعمائة. وكان في البيت الشريف خشبة من أخشاب السقف قد انكسرت وصار الماء ينزل من موضع الكسر في جوف البيت، وكان قاضي مصر يومئذ المرحوم حامد أفندى وقاضي مكة المشرفة المرحوم محمد بن محمود المعروف بخواجة قيني رحمهم الله تعالى، فاطلعا على هذا الاختلال وعرضاه على الأبواب السلطانية. فلما وصل العرض الى المرحوم السلطان سليمان أرسله إلى المرحوم أبي السعود المفتي يستفتيه في ذلك فكتب له بجواز ذلك إن دعت الضرورة إليه، فأرسل بجواب المفتي إلى صاحب مصر إذ ذاك علي باشا فأرسله على باشا إلى ناظر الحرم قاضي مكة المذكور مع حكم شريف سلطاني مضمونه: العمل بمقتضى الفتوى، فجمع أحمد شلبي مؤن العمارة والأخشاب اللائقة، واقتضى رأيهم مشاورة العلماء في ذلك، فجلس الأفندى المذكور بعد صلاة الجمعة لأربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة تسع وخمسين وتسعمائة في الحرم الشريف، واستحضر الشيخ شهاب الدين أحمد بن حجر الشافعي، والشيخ نور الدين علي بن ابراهيم العسيلي، والقاضي يحيى بن فايز بن ظهيرة، ومؤلف أصل هذا المختصر هو شيخى وعمى مفتى الحنفية بمكة المشرفة المرحوم قطب الدين بن علاء الدين مدرس السلطانية السلمانية بمكة رحمه الله

تعالى، وتفاوضوا في المسألة، فذكر مصطفى المعمار أنه(١) شاهد بالسقف الشريف عودين نزلا عن محازاة بقية أخشاب السقف من وسطهما مقدار اثنى عشر قيراطا. وذكر أن عودا ثالثا إلى جانبهما لنحو الباب الشريف، وأنه يحتمل ان يكون مكسورا ايضا. وشهد بمضمون ذلك المعلم الحميماتي المصري وغيره من أرباب الخبرة، وذكروا أنه إن لم يتدراك تغيير الخشب المذكور بخشب صحيح وإلا سقط إلى أسفل وتتزعزع الجدران، و يغلب في الظن اختلال في جوانب السطح يؤدى إلى سقوط السقف جميعه وتشقق الجدران أو سقوطها، فاتفقت آراء الحاضرين على الإقدام على تعمير السطح وتلك الأعواد وعينوا أن يشرعوا صبح السبت منتصف شهر ربيع الأول سنة تسع وخمسين وتسعمائة، فتعصب طائفة حولهم الهوى والفوضى لمخالفة أولئك وقالوا لايجوز إلا ان سقطت الأخشاب من نفسها، فحضر المرحوم المقدسي صاحب مكة المشرفة الشريف أحمد بن أبي نمي وجلس تجاه البيت الشريف واحضر الشيخ محمد بن أبي الحسن البكرى والقاضي تاج الدين المالكي وناظر الحرم أحمد جلبي، واشار الشريف احمد الى الشيخ محمد أن يلقى درسا يتكلم فيه على قول تعالى:« واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت»(٢) الآية، فلما انقضى الدرس أخرج احمد بن جلبي الناظر فتوى المفتي أبو السعود فرآها الشيخ محمد البكري فقال: من يخالف هذا من الناس؟ عين الحق ومحض الصواب، وأمر مولانا الشريف أحمد ابن أبي نمي العمال بالشروع في العمل فشرعوا وسكنت الفتنة، ولما كشفوا عن تلك الأعواد في السقف الشريف، وجدوها مكسورة كما ظنوا فأبدلوها بأعواد جيدة في غاية الاحكام والاستقامة، فأعادوا السقف والسطح، كما كان بغاية الاتقان وسطر ثواب ذلك في صحائف المرحوم السلطان سليمان خان عليه الرحمة والرضوان.

---

(١) في الاصل(المعماراني مشاهد) والتصحيح من المطول

(٢) سورة البقرة ــ الآية ١٢٧.(ج)

ثم لما فرغ من تحديد سطح البيت الشريف ومايتعلق به، شرع في تسوية فرش المطاف الشريف فان أحجاره انفصلت وصار بين كل حجرين حفر، وكانت تلك الحفر تسد تارة بالنورة وتارة بالرصاص وتسمر بمسامير الحديد، فأزال مابين الأحجار من الحفر وتحت أطراف الحجر الى أن ألصقه بطرف الحجر الآخر من جوانبه الأربعة (١) واستمر في فرش المطاف الشريف على هذا الاسلوب الى أن فرغ من ذلك. وأصلح ابواب المسجد الشريف وفرش المسجد جميعه بالحصى، ثم ورد حكم السلطان السليماني بتصفيح الباب الشريف بالفضة فاخرجوا جميع فضة الباب وزادوا عليها فضة وجعلت صفائح وصفح بها باب الكعبة الشريفة وسمرت الصفائح بمسامير الفضة وأعيدت الحلقات الأربع على الباب الشريف وأصلح الميزاب الشريف وصفحه بالفضة المموهة بالذهب الى أن غير بعد ذلك وعمل الميزاب الذى كان في الكعبة وجهز الى الباب الخاقاني فوصل ووضع في الخزانة العامرة.

(١) في الأصل: الأربع، والصواب ماأثبتناه. (ج).

فصـــــــل

في ذكر معاليق الكعبة المعظمة وكسوتها

أما المعاليق(١) فقال المسعودي في (مروج الذهب): كانت الفرس تهدى إلى الكعبة أموالا وجواهر في الزمان الأول. وكان ساسان بن بابك أهدى غزالتين من ذهب وجواهر وسيوفا وذهبا كثيرا إلى الكعبة. وقال الفاسي: يقال إن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر ابن مالك بن النضر بن كنانة القرشي أول من علق في الكعبة السيوف المحلاة بالذهب والفضة ذخيرة للكعبة.

ثم نقل عن الأزرقي أشياء أهديت إلى الكعبة: منها أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما فتح مدائن كسرى كان قد بعث إليه هلالين فبعث بهما، فعلقهما في الكعبة، و بعث السفاح بالصفحة الخضراء فعلقت في الكعبة. و بعث المأمون بالياقوتة التي تعلق في كل موسم بسلسلة من الذهب، تعلق في وجه الكعبة، و بعث المتوكل على الله بشمعة من الذهب مكلّلة بالدر الفاخر والياقوت الرفيع والزبرجد تعلق في سلسلة من الذهب في وجه البيت في كل موسم، وأهدى المعتصم العباسي قفلا لباب الكعبة، فيه الف مثقال ذهبا في سنة تسع وعشرين ومائتين. وكان والى مكة من قبله صالح بن العباس فأرسل إلى الحجبة ليقبضهم القفل، فأبوا أن يأخذوه وأراد أن يأخذ القفل الأول و يرسل به إلى الخليفة فأبوا أن يعطوه له وتوجهوا إلى بغداد وتكلموا مع المعتصم فترك قفل الكعبة عليها وأعطاهم القفل الذى كان بعثه اليها فاقتسموه بينهم.

---

(١) ينظر عن كسوة الكعبة المشرّفة وعن معالقها: العقد الثمين ١/٥٦ — ٦٠، والأزرقي ١/٢٤٩، وقد خصها بالتأليف الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار، بكتاب اسمه« الكعبة والكسوة منذ أربعة آلاف سنة حتى اليوم». مكة المكرمة ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م..(ج)

وذكر الفاكهي أن مما أهدى الى الكعبة طوقاً من ذهب مكلّلا بالزمرد والياقوت مع ياقوتة كبيرة خضراء أرسله ملك الهند لما أسلم في سنة ٢٥٩هـ فعرض أمره على المعتمد على الله فأمر بتعليقها في البيت الشريف. قال الفاسي: ومما علق بعد الأزرقي قصبة من فضة فيها كتاب(١) جعفر بن أمير المؤمنين المعتمد على الله ربيعة بن احمد الموفق بالله بن اخي المعتمد على الله، قدم بها الفضل بن عباس في ٤ صفر الخير سنة ٢٦١هـ فعلق هذه القصبة مع معاليق الكعبة.

ثم لما وقعت الفتن بمكة أخذت تلك(٢) المعاليق من الكعبة وصرفت على المعسكر. وقد وصل في سنة٩٨٤هـ من الباب الشريف السلطاني محمد جاوش وكان قبل ذلك كاتبا على عمارة الحرم الشريف. أقول: وهو الآن دفتر دار عندشاه زاده وكان قد توجه ببشارة تمام عمل المسجد الشريف فأنعمت عليه السلطنة الشريفة، وارسلت مصر الخلع السنية لسيدنا الشريف الحسن بن أبى نمي بن بركات وللمرحوم القاضي حسين الحسيني، ولقاضي مكة المكرمة إذ ذاك المرحوم لطفي بك زاده ولأمين العمارة الأمير احمد بك، وجهزت السلطنة الشريفة صحبة محمد جاوش المذكور ثلاثة قناديل من الذهب مرصعة بالجواهر لتعلق اثنان منها في سقف بيت الله والثالث في الحجرة النبوية تجاه الوجه الشريف النبوى عليه الصلاة والسلام، فوصل محمد جاوش بالقناديل والخلع وعلق القنديلان في البيت الشريف تجاه الباب وسطر ثواب ذلك في الصحائف الشريفة ثم توجه محمد جاوش المذكور الى المدينة المنورة وعلق القنديل في الحجرة المنيفة وهو أول من علق قناديل الذهب في الحرمين الشريفين من سلاطين آل عثمان.

أقول: وفي موسم سنة ٩٩٧هـ وصل من الباب العالي ابراهيم بك

---

(١) في المطول(كتاب بيعة جعفر) الخ.

(٢) في المطول (التعاليق).

الدفتر دار بالباب سابقا بالصر الرومي الجديد الذى سعى في تحصيله وجمعه المرحوم محمد آغا الشهير بنغلر أغاسي ومعه قنديل ذهب مرصع بالجواهر وفي وسطه كما شاهدته منديل مطرز أطرافه بالذهب وفيه ورقة بخط مولانا السلطان مراد خان وعلق القنديل بالمنديل والورقة بالبيت الشريف بعد أن حج وكان ذلك في أوائل محرم الحرام سنة٩٩٨هـ.

فصل

في ذكر كسوة الكعبة وحكم بيعها وشرائها والتبرك بها

ذكر الأزرقي وابن جريج أن أول من كسا الكعبة تبع(١) الحميرى من ملوك اليمن في الجاهلية تعظيما لها، وأنه رأى في منامه أنه(٢) يكسو الكعبة فكساها بالأنطاع(٣) ثم أنه رأى أنه يكسوها فكساها من حبر اليمن وجعل لها بابا يغلق(٤).

قال الأزرقي: وكان يهدى للكعبة هدايا شتى من أكسية وحبر وأنماط وتكسى منه الكعبة ويجعل مابقي منها في خزانة الكعبة، فاذا بلي شيء منها جعل فوقه ثوب آخر ولاينزع مما عليها شيء، وكانت قريش في الجاهلية ترافد(٥) في كسوة الكعبة فيضربون على القبائل بقدر احتمالهم من عهد قصي بن كلاب حتى نشأ ربيعة بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم ثريا يتجر

---

(١) ينظر: تاريخ الكعبة: ٢٤٥، والأزرقي ٢٤٩/١ (ج)

(٢) في الاصل بدون (انه).

(٣) النطع: المتخذ من الأديم. عن المصباح المنير.

(٤) في الأصل(مغلق) وصححناه من المطول

(٥) في الاصل(ترافى)والصواب ماثبتناه

في المال، فقال لقريش: أنا أكسو الكعبة وحدى سنة، وجميع قريش سنة، وكان يفعل ذلك إلى أن مات فسمته قريش العدل لأنه عدل قريشا وحده.

وقال: كسى النبى صلى الله عليه وسلم الثياب اليمانية ثم كساها عمر وعثمان رضي الله عنهما القماطي، وكانت تكسى الديباج بعد ذلك وقال أيضا: كانت الكعبة تكسى كل سنة مرتين فتكسى أولا الديباج قميصا يدلى عليها يوم التروية ولايخاط، ويترك الأزر حتى يذهب الحاج لئلا يمزقونه فإذا كان يوم عاشوراء علقوا عليها الإزار وأوصلوها بالقميص الديباج فلا يزال عليها إلى يوم السابع والعشرين من رمضان فيكسوها الكسوة الثانية وهي من القماطي.

فلما كانت أيام خلافة المأمون أمر ان تكسى الكعبة ثلاث مرات كل سنة فتكسى الديباج الأحمر يوم التروية، وتكسى القماطي أول رجب وتكسى الديباج الأبيض في عيد رمضان، واستمر على ذلك ثم انتهى إليه أن الإزار الذى تكسى به الكعبة في عاشوراء ويلصق بالقميص الأحمر الذى تكسى به يوم التروية لايصبر به إلى تمام السنة وأنه يحتاج إلى أن يجدد لها إزار على عيد رمضان مع قميص الديباج الأبيض الذى تكسى به على العيد، فأمر أن تكسى إزارا آخر على عيد رمضان، ثم بلغ المتوكل على الله أن الإزار يبلى قبل شهر رجب من كثرة مس أيادى الناس فزادها إزارا، وأمر بإسبال قميص الديباج الأحمر إلى الارض ثم جعل فوقه في شهرين إزارا، وذلك في سنة ٢٤٠هـ ثم بعد خلفاء العباسيين وأيام وهنهم وضعفهم كانت كسوة الكعبة الشريفة تارة من قبل سلاطين مصر، وتارة من قبل سلاطين اليمن إلى أن استقرت الكسوة الشريفة من سلاطين مصر إلى أن اشترى السلطان الملك الصالح الملك قلاوون قريتين بمصر، أوقفهما على عمل الكسوة الشريفة اسمهما يبسوس، وسندبيس ثم استمرت سلاطين مصر من بعده ترسل كسوة الكعبة في كل عام، وكانوا يرسلون عند تجدد كل سلطان مع

الكسوة التي تكسى من ظاهر البيت الشريف كسوة حمراء لداخل البيت الشريف، وكسوة خضراء للحجرة الشريفة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، مكتوب على الكسوة السوداء والحمراء(لا إله إلاّ الله محمد رسول الله) دالات في قلب دالات «وقد تزاد في حواشي تلك الدالات آيات أخرى مناسبة وأسماء الصحابة رضي الله عنهم أو تترك ساذجة بحسب مايراه النساج فلما آلت سلطة ممالك العرب إلى سلاطين آل عثمان خلد الله تعالى سلطنتهم إلى انتهاء الزمان، وأخذ المرحوم المقدس السلطان سليم خان مملكة العرب من الجراكسة، جهز كسوة الكعبة داخلاً وخارجا وكسوة المدينة الشريفة على ماجرت به العادة وأمر باستمرار الكسوة السوداء للكعبة الشريفة على الوجه المعتاد ولما آلت السلطة إلى ولده السلطان سليمان خان أمر باستمرار الكسوة الشريفة على عوائدها السابقة ثم أن القريتين بيسوس، وسندبيس الموقوفتين على كسوة الكعبة خربتا وضعف ريعهما عن الوفاء بمصرف الكسوة فأمر أن يكمل من الخزائن السلطانية بمصر، ثم أضاف إلى القريتين قرى أخرى أوقفها على كسوة الكعبة فصار عامراً فائضاً مستمراً إلى الآن.

وأما نزع كسوة الكعبة الشريفة وتقسيمها بين الناس، فقد ذكر الأزرقي أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان ينزع الكسوة كل سنة فيقسمها على الحجاج(١) وقال أيضاً: كان على الكعبة من كسوة الجاهلية ما بعضها فوق بعض.

فلما كسيت في الإسلام من بيت المال خفضت تلك الكسوة شيئاً فشيئاً. وكان أول من ظاهر لها بكسوتين أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه، فلما كانت أيام معاوية كساها الديباج مع القباطي، ثم أنه بعث إليها بكسوة ديباج وقباطي وحبر، وأمر شيبة بن عثمان أن يجرد الكعبة عن

---

(١) ص ١٧٣ ج١ اخبار مكة للأزرقي ومابعدها.

الكساوى ويخلقها بالطيب، و يلبسها ماجهزه إليها، فطيب جدرانها بالخلوق، وكساها تلك الكسوة التى بعث بها معاو ية وقسم الثياب التى كانت عليها بين أهل مكة، وكان عبد الله بن عباس حاضراً في المسجد الحرام فما أنكر ذلك ولاكرهه قال: وكان شيبة يكسو منها حتى رأى على امرأة حائض من كسوتها. فأنكر ذلك عليها وقال: إن شيبة بن عثمان دخل على أم المؤمنين عائشة وقال لها: ياأم المؤمنين تكثر ثياب الكعبة عليها فنجرد عنها ونحفر لها حفرة تدفن فيها مايبلى كي لا تلبسها حائض وجنب. فقالت له: ماأصبت فيما فعلت فلا تعد إلى ذلك، فإن ثياب الكعبة إذا نزعت عنها لايضرها من لبسها من حائض، ولكن بعها واجعل ثمنها في سبيل الله وابن السبيل.

قال قاضي خان: ديباج الكعبة إذا صار خلقا يبيعه السلطان(١) و يستعين به في أمر الكعبة لأن الولاية فيه للسلطان لالغيره وفي(تتمة الفتاوى) عن محمد في ستر الكعبة يعطى منه إنسان فإن كان شيئا له ثمن لايأخذه وإذ لم يكن له ثمن فلا بأس به، وقال في(السراج الوهاج) لايجوز قطع شيء من كسوة الكعبة ولا نقله ولابيعه ولاشراؤه ولا وضعه بين أوراق المصحف ومن حمل شيئا من ذلك، فعليه رده ولاعبرة بتوهمه(٢) انهم يشترون ذلك من بني شيبة فإنهم لايملكونه، فقد روي عن ابن عباس وعائشة أنهما قالا: يبيع ذلك ويجعل ثمنه فى سبيل الله تعالى.

---

(١) ينظر: تاريخ الكعبة ص/ ٣٦٨ ــ ٣٧٣.(ج)

(٢) في الاصل(ولايتوهمه الناس الخ) والتصحيح من المطول.

قال شيخنا القطب رحمه الله تعالى: الذى يظهر لى ان كسوة الكعبة إن كانت من قبل السلطان من بيت المال، فأمرهما راجع إليه يعطيها لمن شاء من الشيبيين أو غيرهم، وإنْ كانت من أوقاف السلاطين أو غيرهم فأمرهما راجع إلى شرط الواقف فيها فهي لمن عينها، وإن جهل شرط فيها عمل فيها بما جرت عليه العوائد، كما هو الحكم في سائر الأوقاف، وكسوة الكعبة الآن من أوقاف السلاطين، ولم يعلم شرط الواقف فيها وقد جرت عادة بني شيبة أنهم يأخذون الكسوة العتيقة بعد وصول الكسوة الجديدة فيبقون على عاداتهم، والله أعلم.

الباب الثالث

فيما كان عليه وضع المسجد الحرام أيام الجاهلية وما أحدث فيه من الزيادة والتوسعة .



إعلم أن الكعبة الشريفة لما بناها ابراهيم الخليل عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام لم يكن حولها دور إلى أن آل الأمر إلى قصي بن كلاب(١)، فأذن لقومه أن يبنوا حولها وقسم جهاتها كما تقدم.

واستمر المسجد الحرام على ذلك الأسلوب إلى أن ظهر الاسلام وكثر المسلمون في زمن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، فضاق المسجد الحرام، ووقع سيل عظيم سنة ١٧هـ يسمى سيل أم نهشل، دخل من أعلى مكة من طريق الردم المعروف الآن بالمدعى، فدخل المسجد واقتلع مقام ابراهيم من موضعه، وذهب به إلى أسفل مكة وغير مكانه وذهب بأم نهشل بنت عبيدة بن سعيد ابن العاص بن أمية فماتت فيه، فكتب إلى عمر رضي الله عنه بذلك وهو بالمدينة فهاله(٢) وركب فزعاً مروعاً إلى مكة، فدخلها بعمرة في شهر رمضان، ووقف على حجر المقام وهو ملصق بالبيت الشريف فهول من ذلك، ثم قال: أنشد الله عبدا عنده علم في هذا المقام؟

فقال المطلب بن أبي وداعة السهمي: أنا ياأمير المؤمنين قد كنت أخشى عليه مثل هذا الأمر فأخذت قدره من موضعه إلى الحجر ومن موضعه إلى زمزم بمقاط وهو عندى في البيت. فقال له: اجلس وأرسل من يأتى به نقيس به. ووضع حجر المقام في هذا المحل يعنى الذى هو الآن وأحكم

---

(١) العقد الثمين ٤٧/١ (ج)

(٢) في الأصل المطول (فأهاله) والصواب ماأثبتناه.

واستمر فيه إلى الآن. قال الأزرقي: وكان المسجد الحرام ليس له جدران تحيط به، وإنما كانت دور قريش محدقة به من كل جانب غير أن بين الدور أبواب يدخل منها الناس إلى المسجد الحرام، ولما كان زمن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه، وضاق المسجد اشترى دوراً كانت حول المسجد وهدمها وأدخلها في المسجد، وبقيت دور احتيج إلى إدخالها في المسجد وأبى أصحابها بيعها(١) فقال لهم عمر رضي الله عنه: أنتم نزلتم في فناء الكعبة وبنيتم به دوراً وأنتم لا تملكون فناء الكعبة ومانزلت الكعبة في سوحكم وفنائكم.

وقومت الدور ووضع ثمنها في جوف الكعبة ثم هدمت وأدخلت في المسجد ثم طلب(٢) أصاحبها الثمن فسلم إليهم وأمر ببناء جدار قصير أحاط بالمسجد دون القامة وكانت المصابيح في محاذاة الأبواب السابقة وعمل في السنة المذكورة أمير المؤمنين الردم الذى بأعلى مكة صوناً للمجسد بناه بالصفائح والصخار العظام وكبسه بالتراب فلم يعله سيل بعد ذلك و يسمى هذا الردم ردم بنى جمح ــ بضم الجيم وفتح الميم ــ بطن من قريش وهذا الردم هو المعروف الآن بالمدعى.

وأما زيادة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه فكانت في السنة ٢٦هـ أتى عثمان من المدينة ودخل ليلاً معتمراً وطاف وسعى وأمر بتوسيع المسجد الحرام. واشترى دور ماحول المسجد وهدمها وأدخلها المسجد فضج أصحاب الدور وضاقوا فدعاهم وقال لهم: انما جرأكم عليّ حلمي عليكم ألم يفعل بكم ذلك عمر فما ضج به أحد وقد حذوت(٣) حذوه فضجرتم مني

---

(١) في الأصل (عن بيعها) والصواب بدون«عن»

(٢) ينظر: تاريخ عمارة المسجد الحرام ص/ ٤٣ ــ ٤٥، والأزرقي أخبار مكة ٦٩/١ (ج)

(٣) في الأصل (احذيت) والصواب ماثبتناه.

وصحتم ثم أمر بهم إلى الحبس فشفع فيهم عبد الله بن خالد بن أسيد فتركهم فبنى المسجد والأروقة فكان عثمان رضي الله عنه أول من اتخذ للمسجد الأروقة، وجدد فيها عثمان أنصاب الحرم وكلم أهل مكة عثمان أن يحول(١) الساحل من الشعبية وهى ساحل(٢) مكة قديماً في الجاهلية إلى ساحلها اليوم وهي جدة لقربها فأمر بتحويل الساحل إليها بعد أن عزم إليها ودخل البحر واغتسل فيه وقال: إنه مبارك. ثم وقعت زيادة عبد الله ابن الزبير(٣) رضي الله عنه كان ابن الزبير ممن أبى البيعة ليزيد، وفر إلى مكة وأطاعه أهل الحجاز واليمن والعراق. وخراسان ولم يخرج عن طاعته إلا أهل مصر والشام، فإنهم بايعوا يزيد فلما هلك أطاعه أهلها وكان لما حاصره الحصين بن نمير في عسكر جهزه يزيد عليه التجأ بالمسجد الحرام فنصب عليه المناجيق، وأصاب بعض حجارتها الكعبة فهدم بعض جدرانها واحترق بعض أخشابها وكسوتها وانهزم الحصين وعسكره لهلاك يزيد وبلوغ خبر نعيه. فرأى عبد الله بن الزبير أن يهدم الكعبة ويحكم بنائها على قواعد إبراهيم عليه السلام لما سمعه من حديث عائشة رضي الله عنها كما في الصحيحين أنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :« ياعائشة لولا أن قومك حديثو عهد بشرك لهدمت الكعبة فألزقتها بالأرض ولجعلت لها باباً شرقيا وباباً غربياً وزدت فيهاستة أذرع من الحجر، وأن قريشاً استقصرتها حين بنت الكعبة فإن بدا لقومك من بعدي أن يبنوه فهلمى لأريك ماتركوا منه فأراها قريبا من سبعة أذرع». فاستشار عبد الله بن الزبير من بقي من الصحابة في ذلك فكان منهم من أبى، ومنهم من وافقه فصمم وأقدم على ذلك ولماأراد هدم البيت الشريف خرج أهل مكة خوفا وامتنع العمال عن ذلك

---

(١) في الأصل (يحول) وينظر: الجامع اللطيف ص/١٢١ ــ ١٢٢. (ج)

(٢) في الأصل (مساحل)

(٣) تاريخ عمارة المسجد الحرام ص/٤٤، والعقد الثمين ٨٣/١ ــ ٨٦. (ج)

فأرقى عبداً رقيق الساقين وعبيدا له من الحبوش يهدمونها رجاء أن يكون الحبشي الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم: يخرب ا لكعبة ذو السويقتين من الحبشة.

قال اليافعي في (تاريخه)(١): أراد عبد الله بن الزبير أن يجعل الطين الذى يبنى به الكعبة من الورس فقيل له إنه لايستمسك به البنيان كما يستمسك بالجص فأرسل إلى صنعاء اليمن يطلب(٢) منها جصاً نظيفاً محكماً فأتوا به فبنى به الكعبة. ولما أكمل هدمها كشف عن أساس إبراهيم عليه السلام فوجد الحجر داخلا في البيت على ذلك الأساس، وكان أدار ستراً على فناء البيت وكان البناة يبنون من وراء ذلك الستر والناس يطوفون من خارج، فأدخل الحجر في البيت وألصق باب الكعبة بالأرض ليدخل الناس منه وفتح له باباً غربياً في مقابلة هذا الباب ليخرج الناس منه كما كان عليه لما جددت قريش الكعبة قبل أن يبعث(٣) النبي صلى الله عليه وسلم، وكان طول الكعبة قبل قريش تسعة أذرع وزادت قريش تسعة أذرع فصار طولها في السماء سبعة وعشرين (٤) ذراعاً ولما فرغ من بنائها طيبها بالمسك والعنبر داخلاً وخارجاً من أعلاها إلى أسفلها وكساها بالديباج وبقيت بقية من الحجارة فرشها حول البيت نحوا من عشرة أذرع وكان فراغه من عمارة البيت الشريف في السابع والعشرين لعله من رمضان(٥) سنة ٦٤ هـ فخرج إلى التنعيم هو وأهل مكة معتمرين شكراً لله، وذبح مائة بدنة وذبح كل واحد على قدر سعته وجعلوا ذلك اليوم عيداً مشهوداً، وبقيت هذه العمرة كل سنة يعملها أهل مكة.

---

(١) مرآة الزمان ج ١٢٣/١ ترجمة ابن الزبير(ط/٢)، والعقد الثمين ٨٣/١ (ج)

(٢) في الأصل (طلب) والصواب ماأثبتناه.

(٣) في الأصل(قبل بعث)والصواب ماأثبتناه.

(٤) في الأصل(سبعة وعشرون) والصواب ماأثبتناه.

(٥) من كلام صاحب المختصر.

وفي سنة ٧٣هـ جاء الحجاج بن يوسف الثقفي بعسكر كبير من قبل عبد الملك بن مروان، وحاصر عبد الله بن الزبير ونصب المنجنيق على جبل أبي قبيس ودام القتال أشهراً إلى أن خذل ابنَ الزبير غالب أصحابه، فخرج وحاربهم على الأرض فصاحت مولاة لآل الزبير: واأميراه. فعرفوه فقتلوه. وكتب الحجاج الى عبد الملك بن مروان في سنة ٧٤هـ إن ابن الزبير زاد في الكعبة ماليس منها وأحدث فيها باباً آخر فكتب إليه عبد الملك أن يعيدها على ماكانت عليه في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فهدم الحجاج من جانبها الشامي قدر ستة أذرع وشبراً وبنى ذلك الجدار على أساس قريش وكبس(١) أرضها بالحجارة التي فضلت ورفع الباب الشرقي وسد الباب الغربي، وترك سائرها لم يغير منها شيئا فهي إلى الآن جوانبها الثلاثة من بناء عبد الله بن الزبير، والجانب الرابع الشامي من بناء الحجاج وهو ظاهر الانفصال من بناء عبد الله بن الزبير، فلما فرغ الحجاج من ذلك وفد عبد الملك بن مروان، وحج في ذلك العام معه حارث بن عبد الله بن ربيعة المخزومي وهو من ثقاة الرواة فتحادثا في أمر الكعبة فقال عبد الملك. ما أظن ابن الزبير سمع من عائشة ما زعم أنه سمعه في أمر الكعبة. فقال الحارث: أنا سمعت ذلك من عائشة رضي الله عنها، وساق الحديث المتقدم فقال عبد الملك: أنت سمعته؟ قال نعم. فجعل ينكث بقضيب في يده منكساً ساعة طويلة ثم قال: وددت والله أني تركت ابن الزبير وماتحمل.

قال الأزرقي(٢): وزاد عبد الله بن الزبير في المسجد الحرام واشترى دوراً وأدخلها في المسجد فكان مما اشترى بعض دارنا ــ يعني دار الأزرقي ــ وكانت لاصقة بالمسجد الحرام، وبابها شارع على باب بني شيبة على يسار الداخل الى المسجد وكانت داراً كبيرة اشترى بعضها ببضعة عشر الف

(١) لم نجد فيا بين أيدينا من كتب اللغة تفسيرا لهذه الكلمة كما أرادها المؤلف بمعنى (دك). وكبس بمعنى (دك) عامية دارجة.

(٢) ص ٥٥ ج١ الأزرقي .

دينـار، وأدخلـه فـي المسـجد الحرام وكتب لنا إلى أخيه مصعب بن الزبير يـدفعـهـا إلـينا فركب رجال إلى العراق فوجدوا مصعبا يقاتل عبد الملك بن مـروان فلـم نـلبث إلا يسيراً حتى قتل مصعب فرجعوا إلى مكة فصار ابن الـزبير يـعـدنا و يدفعنا حتى جاء الحجاج بن يوسف وحاصره وقتله ولم نأخذ شيـئـا. وقـال: وذكر جدى أنه سمع مشيخة أهل مكة يذكرون أن عبد الله ابن الزبير سقف المسجد غير أنهم لايدرون أسقفه كله أم بعضه.

قال : ثم عمره عبد الملك بن مروان ولم يزد فيه لكنه رفع جدرانه وسقفه بـالـصـاج وعمره عمارة حسنة. قال وحدثنى جدي عن سفيان بن عيينة عن سـعد بن فروة عن أبيه قال: كنت على عمل المسجد في زمن عبد الملك بن مـروان فـأمر أن يجعل في رأس كل أسطوانة خمسين مثقالا من الذهب وقال أيـضـا: مـسـجد الكوفة تسعة أجربة ومسجد مكة سبعة أجربة(١) وذلك في زمن عبد الله بن الزبير.

قـال الأزرقي: عمر الوليد بن عبد الملك المسجد الحرام ونقض عمل عبد المـلـك وعمله عملاً محكماً. وكان اذا عمل المساجد زخرفها وهو أول من نقل الاسـاطين الـرخـام وسـقـفـه بـالساج المزخرف وجعل على رؤوس الأساطين صفائح الذهب(٢)، وجعل للمساجد سرادقات.

---

(١) جاء في ص ١٨ تـاريخ عمارة المسجد الحرام للشيخ حسين باسلامه أن مساحة الجريب الـواحـد(٣٦٠٠) ذراع مـربـع وبـذلـك تـكون مساحة المسجد في زمن ابن الزبير(٢٥٢٠٠) ذراع مربع.

(٢) كذا في المطول ص ٤٠ وجاء في الأزرقي ص ٥٧ ج ٢ (صفائح شبه الصفر).

الباب الرابع

في ذكر ما زاده العباسيون في المسجد الحرام



وفي محرم سنة ١٣٨هـ وقيل سنة ١٣٩هـ أمر أبو جعفر المنصور بالزيادة في المسجد الحرام، فزيد في شقه الشامي الذى يلى دار الندوة وزاد في أسفله إلى أن انتهى إلى المنارة التي في ركن باب بنى سهم، ولم يزد في الجانب الجنوبي شيئا لاتصاله بمسيل الوادى وصعوبة البناء فيه وعدم ثباته إذا قوي السيل عليه، وكذلك لم يزد في أعلى المسجد. واشترى من الناس دورهم وهدمها وأدخلها في المسجد الحرام.

وكان الذى على عمارة أبي جعفر أمير مكة يومئذ من جانبه. وكان من شرطته عبد العزيز بن عبد الله بن مشافع، جد شافع بن عبد الرحمن الشيبي، وكان زياد أجحف بدار شيبة بن عثمان وأدخل أكثرها في الجانب الأعلى من المسجد، فتكلم مع زياد في أن يميل عنه قليلاً ففعل فكان في هذا المحل إزورار في المسجد وأمر أبو جعفر المنصور بعمل منارة هناك فعملت واتصل عمله في أعلى المسجد بعمل الوليد بن عبد الملك. وكان عمل أبي جعفر طاقاً واحداً بأساطين الرخام دائراً على صحن المسجد وكان الذى زاد فيه مقدار الضعف مما كان قبله وزخرف المسجد بالفسيفساء والذهب وزينه بأنواع النقوش ورخم الحجر(بالحاء المكسورة ثم الجيم) وهو أول من رخمه، وفرغ من ذلك في عامين، وقيل في ثلاثة أعوام، وكان الفراغ من العمارة في سنة ١٤٠هـ قال النجم عمر بن فهد(١) في حوادث سنة ١٦٠هـ: وفيها حج أمير المؤمنين المهدي العباسي، ونزل دار الندوة،

---

(١) في الأصل (النجم بن فهد) والصواب ماأثبتناه عن المطول.

وجاء عبيد الله بن عثمان بن إبراهيم الحجي في ساعة خالية نصف النهار فدخل عليه، فقال له: إن معي شيئا(١) لم يحمل إلى أحد قبلك فكشف له عن الحجر الذى فيه أثر قدمى(٢) خليل الله عليه السلام وهو الذى يزار إلى الآن و يعرف بمقام إبراهيم، فسر المهدي بذلك وقبله وتمسح به وصب فيه ماء فشربه.

وذكر حجبة الكعبة للمهدي انه تراكمت على الكعبة كسوة كثيرة اثقلتها ويخاف على جدرانها من ثقلها فأمر بنزعها. فنزعت حتى بقيت مجردة، ووجدوا كسوة هشام من الديباج الثخين، وكسوة مَن قبله مِن ثياب اليمن فجردت الكعبة منها، وطلي جدرانها من داخلها وخارجها بالغالية والمسك والعنبر، وصعد الخدام على سطح الكعبة وصاروا يسكبون قوارير الغالية الممسكة المطيبة على جدارات الكعبة من الجوانب الأربعة(٣) ثم كسيت ثلاث كساوي من القباطي والخز والديباج، وقسم المهدي في الحرمين الشريفين أموالا عظيمة وهي ثلاثون الف درهم وصل بها من العراق، وثلاثمائة الف دينار وصلت إليه من مصر، ومائتا ألف دينار وصلت إليه من اليمن، ومائة وخمسون ألف ثوب.

واستدعى قاضى مكة وهو يومئذ محمد الأوقصى بن محمد بن عبد الرحمن المخزومي، وأمره ان يشترى دوراً في أعلى المسجد ويهدمها و يدخلها في المسجد، وأعد لذلك أموالا عظيمة، فاشترى القاضى جميع ماكان بين المسجد الحرام والمسعى من الدور، فما كانت من الصدقات والأوقاف اشترى للمستحقين بدلها دوراً في فجاج مكة، واشترى كل ذراع مكسر في مثله. فما دخل في المسجد بخمسة وعشرين ديناراً، ومادخل في مسيل الوادى

(١) في الأصل (شيء)
(٢) في الأصل بدون اثر
(٣) في الأصل (الاربع)

بخمسة عشر ديناراً فكان مما دخل في ذلك الهدم دار الأزرقي، وهي يومئذ لاصقة بالمسجد الحرام من أعلاه على يمين الداخل من باب بني شيبة، وكان ثمن ناحية منها ثمانية عشر ألف دينار وكان أكثرها دخل في المسجد الحرام في زيادة عبد الله بن الزبير، ودخلت أيضاً دار خيرة بنت سباع الخزاعية وكان ثمنها ثمانية وأربعين ألف دينار دفعت إليها، وكانت شارعة على المسعى يومئذ قبل أن يؤخر المسعى ودخلت أيضا دار لآل(١) جبير بن مطعم ودار شيبة بن عثمان، اشترى جميع ذلك وهدم وأدخل المسجد.

وجعل دار القوارير رحبة بين المسجد الحرام والمسعى حتى(٢) استقطعها جعفر البرمكي من الرشيد لما آلت إليه الخلافة وتداولت الأيدى عليها(٣) إلى أن استبدلها المرحوم السلطان قايتباى وبناها مدرسة موجودة إلى الآن، وهذه الزيادة الأولى للمهدي في أعلى المسجد وكذلك في أسفله إلى أن انتهى به إلى باب بنى سهم ويقال له الآن: باب العمرة، وإلى باب الحناطين ويقال له الآن: باب ابراهيم، وكذلك زاد من الجانب الشامي إلى منتهاه، والآن كذلك زاد في الجانب اليماني أيضاً إلى قبة الشراب وتسمى الآن: قبة العباس(٤)، وكان بين جدار الكعبة اليماني وجدار المسجد الحرام الذى يلى الصفا تسعة وأربعون ذراعاً ونصف ذراع وكان ماوراءه مسيل الوادى، فهذه كلها الزيادة الأولى للمهدي، وأمر بالأساطين فنقلت من مصر ومن الشام وحملت بحراً إلى قرب جدة في موضع يقال له الشعيبة وحملت منها على العجل إلى مكة وعمل الأساس لتلك الأساطين بحيث حفر لها في الأرض جدارات على شكل الصليب أقاموا كل اسطوانة على موضع التقاطع كشف عنه السيل العظيم الواقع سنة ٩٣٠هـ فشهدناه على هذا الأسلوب. واستمر عملهم إلى سنة ١٦٤هـ وحج المهدي في ذلك العام،

(١) في الأصل (لابن جبير) والصواب ما اثبتناه من المطول.

(٢) في الأصل بدون (حتى).

(٣) في الأصل (عليه).

(٤) في الأصل قبة الزيت، والصحيح في الجميع مانقلناه عن المطول.

وشاهد الكعبة المعظمة ليست في وسط المسجد بل في جانب منه ورأى المسجد قد اتسع من أعلاه وأسفله ومن جانبه الشامي وضاق المسجد من الجانب اليماني الذى يلي مسيل الوادى وكان في محل المسيل الآن يلوث الناس وكانوا يسلكون من المسجد في بطن الوادي، ثم يسلكون زقاقاً ضيقاً ثم يصعدون الى الصفا، وكان السعي في موضع المسجد الحرام اليوم عند موضع المنارة الشارعة في نحر الوادي فيها علم المسعى. وكان الوادي يمر دونها في بعض المسجد الحرام اليوم، فهدموا أكثر دار محمد بن عباد المذكور، وجعلوا المسعى والوادي فيها، وكان عرض الوادي من الميل الأخضر الملاصق بالمأذنة التي في الركن الشرقي للمسجد إلى الميل الأخضر الملاصق الآن لرباط العباس وكان هذا الوادي مستطيلاً إلى أسفل المسجد الآن يجرى فيه السيل، ملاصقاً لجدار المسجد إذ ذاك، وهو الآن بطن المسجد من الجانب اليماني.

فلما رأى المهدي تربيع المسجد الحرام ليس على الاستواء ورأى الكعبة الشريفة في الجانب اليماني من المسجد، جمع المهندسين وقال لهم أريد أن أزيد في الجانب اليماني من المسجد لتكون الكعبة في وسط المسجد فقالوا له: لايمكن ذلك إلا بان تهدم البيوت التي على حافة المسيل في مقابلة هذا الجدار اليماني من المسجد، وينقل المسيل الى تلك البيوت ويدخل المسيل في المسجد كما قدمنا.

ومع ذلك فإن وادى إبراهيم له سيول عارمة(١) وهو واد حدور يخاف ان حولناه عن مكانه أن لايثبت أساس البناء فيه على مايزيد من الاستحكام فتذهب به السيول وتعلو السيول فيه فتنصب في المسجد الحرام، ويلزم هدم دور كثيرة وتكبر المؤنة وتكثر ولعل ذلك لا يتم.

---

(١) في الأصل (عليه) والصواب مانقلناه عن المطول.

فقال المهدي: لابد أن أزيد هذه الزيادة ولو أنفقت جميع بيوت الأموال، وصمم على ذلك وعظمت نيته واشتدت رغبته، وصار يلهج به فهندس المهندسون ذلك بحضوره، وربطوا الرماح ونصبوها على أسطحة الدور من أول الوادى إلى آخره، وربعوا المسجد من فوق الأسطحة، وطلع المهدي الى جبل أبي قبيس وشاهد تربيع المسجد، ورأى الكعبة في وسط المسجد، ورأى مايهدم من البيوت ويجعل مسيلاً ومحلاً للسعي وشخصوا له ذلك بالرماح المربوطة من الأسطحة ووزنوا له ذلك مرة بعد أخرى حتى رضي عنه.

وتوجه إلى العراق وخلف الأموال الكثيرة لشراء هذه البيوت والصرف على هذه العمارة العظيمة، وهذه هي الزيادة الثانية للمهدي في المسجد الحرام.

هذا ملخص ماذكره الأزرقي(١) وغيره. قال الحافظ نجم الدين عمر بن فهد في حوادث سنة ١٦٧هـ ما ملخصه: فيها هدمت الدور التي اشتريت لتوسعة المسجد والزيادة فيه الزيادة الثانية للمهدي فهدموا أكثر دار محمد بن عباد وجعلوا المسعى والوادى فيها، وهدموا مابين الصفا والوادى من الدور وحرفوا الوادى في موضع الدور حتى أوصلوه إلى مجرى الوادي القديم في الأجياد الكبير، وابتدأوا من باب بني هاشم من أعلى المسجد ويقال له الآن باب علي، ووسع المسجد منه إلى باب أسفل المسجد، وجعل في مقابلة هذا الباب باب في المسجد يعرف الآن بباب حزورة(٢) وكان من جدار الكعبة إلى الجدار اليماني من المسجد المتصل بالوادى تسعة وأربعون ذراعا ونصف ذراع. فلما زيدت هذه الزيادة الثانية فيه صار من جدار

---

(١) الأزرقي ٢٠١/١ ــ ٢٢٣ (ج)

(٢) في الأصل(عزورة) والصواب ماأثبتناه عن المطول.

المسجد أولاً إلى الجدار الذى عمل أخيراً، وهو باق إلى اليوم تسعون ذراعاً، فاتسع المسجد غاية الاتساع، وأدخل في قرب الركن اليماني من المسجد في أسفله دار أم هانىء بنت أبي طالب. و يقال الآن للباب الذى فتح هناك باب أم هانىء، لأن دارها كانت بقرب هذا الباب داخل المسجد الحرام، وكانت عند دارها بئر جاهلية حفرها قصيّ بن كلاب أحد أجداد النبي صلى الله عليه وسلم، فأدخلت تلك البئر في المسجد الحرام. وحفر المهدي عوضها بئراً خارج حزورة يغسلون عندها الموتى من الفقراء إلى الآن. واستمر البناء في بناء هذه الزيادة ووضع الأعمدة الرخام وتسقيف المسجد بالخشب الصاج المنقش بالألوان نقراً في نفس الخشب كما أدركناه، وكان في غاية الزخرفة والاحكام باقيا فيه لون اللازورد في غاية الصفاء والرونق واستمر عملهم إلى أن توفى المهدي في٢٢/١/١٦٩هـ قبل أن تتم عمارة المسجد على الوجه الذى أراد، رحمه الله تعالى.

ثم تولى من بعده ولده الهادي في التاريخ الذى مات فيه والده، فلما استقر في سرير الخلافة كان أول شيء أمر به إكمال بناء المسجد الحرام، فبادر الموكلون إلى إتمامه وكملوا إلى أن اتصل بعمارة المهدي، و بنوا بعض أساطين الحرم الشريف من جانب باب أم هانىء بالحجارة ثم طليت بالجص، وكان العمل في خلافة الهادي دون العمل في خلافة والده في الاستحكام والزينة والاهتمام، ومازيد بعد ذلك إلا الزيادتان كما نبينه إن شاء الله تعالى فيما بعد.

فصـــــــــل
في ذكر دار الخيزران وعين مشاش

وفي أثناء دولة الرشيد قدمت الخيزران أم الرشيد إلى مكة قبل الحج سنة ١٧١هـ وأقامت إلى أن حجت وعملت الخيرات، واشترت دوراً بالصفا إلى جانب الأرقم المخزومي التي تشتمل على مسجد مأثور يقال له المختبى، لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو به إلى الإسلام خفية من صولة المشركين أول البعث، وأسلم فيه جماعة من الصحابة، ولما أسلم فيه عمر رضي الله عنه أظهر الإسلام، وفيه الآن قبة ومزار تسمى قبة الوحي، وهذه الدور التي اشترتها الخيزران متصلة بهذا المزار الشريف وتسمى الآن دار الخيزران. وكانت قد آلت إلى بعض الأشراف من بنى حسن، فاشتراها الأمير إبراهيم بك بن تغرى بردى دفتر دار مصر سابقاً، المأمور بإجراء عين عرفات.

ثم إنه اهدى المحل المذكور للمرحوم المقدسي السلطان سليم خان الثاني، وهو شاه زاده يومئذ(١) على يد المرحوم رجب شلبي، واستمرت في ملكه إلى أن انتقل إلى رحمة الله تعالى، فصار المحل المذكور بالإرث الشرعي من أملاك السلطان مراد خان.

أقول: وقد ورد أمره الشريف بعمارة المحل المذكور إلى مصطفى جاويش أمين جدة المعمورة سابقاً، فشرع في العمارة في أوائل سنة ٩٩٩هـ وبنى هناك ثلاثة دور كبار، ثم إن مصطفى المذكور توجه إلى الباب العالى وبقي باقى المحل بلا عمارة.

(١) في الأصل بدون(يومئذ) الموجودة في المطول ص ٥٢

قال الحافظ بن فهد في حوادث سنة ٢٤٥هـ فيها غارت «عين مشاش(١) وهي عين(٢) مكة، فبلغ ثمن القربة درهما، فبعث المتوكل على الله جعفر ابن المعتصم مالا، فأنفق عليها حتى جرت، كما ذكره ابن الأثير في(تاريخه)(٣)، وهذه العين من عمل زبيدة(٤)، وهي عين بازان ــ ظناً.

قلت: عين مشاش موجودة إلى الآن، وهي من جملة العيون التي تصب في ذيل عين حنين، وهي تجرى وتضعف أحيانا بقلة المطر، ومحلها معروف.

(٢،١) في الأصل (مشارس ــ ومشاس) وبدون (هي).

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ترجمة المتوكل على الله.(ج)

(٤) ينظر: معالم مكة التاريخية والأثرية/ ١٩٧ وعين بازان، نسبة إلى الأمير(بازان) لذي بعثه نائب السلطنة (جويان) من قبل الخليفة العباسي، لتعمير بعض العيون في مكة المكرمة سنة ٦٢٥هـ، وأهل مكة يطلقون على موارد المياه:« بازانات» واحدها بازان.(ج)
ينظر:مكة في القرن الرابع عشر الهجري للمرحوم محمد عمر رفيع ص/٦٦، والعقد الثمين ١٢٦/١ ــ ١٢٧.(ج)

الباب الخامس

في ذكر الزيادتين اللتين زيدتا في المسجد الحرام
بعد تربيعه الذي أمر به المهدي بن منصور العباسي
والترميم الواقع في الجانب الغربي من المسجد الحرام
قبل الزيادتين .



في سنة ٢٧١هـ في أيام المعتمد على الله وقع وهن في بعض جدارات المسجد الحرام من الجانب الغربي قبل زيادة باب إبراهيم، وكان في نفس الجدار الغربي من المسجد الشريف باب يقال له: باب الحناطين، وكانت بقربه دار كانت تسمى دار زبيدة بنت أبي جعفر المنصور، فسقطت تلك الدار على سقف المسجد الحرام، فكسرت أخشابه وانهدمت أسطوانتان من أساطين الحرم الشريف ومات تحت ذلك عشرة أنفس من خيار الناس.!!

وكان العامل يومئذ بمكة هارون بن محمد بن اسحق، وقاضيها يوسف ابن يعقوب القاضي. فلما رفع أمر الهدم إلى بغداد أمر أبو أحمد الموفق بالله العامل المذكور بعمارة ماتهدم من المسجد الشريف، وجهز إليه مالا بسبب ذلك فشرع في عمارته، وجدد له سقفاً من خشب الساج، ونقشه بالألوان المزخرفة، وأقام الأسطوانتين الساقطتين، وبنى عقودها، وركب السقف ونصب في أيام عمارته سرادقاً بين العمال والبنائين وبين الناس ليسترهم عن أعين من بالمسجد إلى أن أكمل ذلك في سنة ٢٧٢هـ.

ومما وقع في أيام المعتضد أن قاضي مكة من قبله وأمير مكة من قبله كتبا إلى وزير المعتضد يومئذ كتاباً يتضمن أن دار الندوة قد عظم خرابها وتهدمت، وكثيراً ما يلقى فيها القمائم حتى صارت ضررا على المسجد الحرام

وجيرانه(١)، وإذا جاء المطر سالت السيول من بابها إلى بطن المسجد، وحملت تلك القمائم إلى المسجد الحرام، وأن سقف المسجد قد خرب، وصار إذا جاء المطر يسيل منه الماء، وأن وادي مكة قد« انكبس» بالأتربة فعلت الأرض عما كانت، وصارت السيول تدخل من الجانب اليماني إلى المسجد الحرام، ووفد إلى بغداد سدنة الكعبة، ورفعوا إلى ديوان الخلافة أن وجه جدران الكعبة قد تشعث، وأن الرخام المفروش في أرضها قد تكسر، وأن عضادتي باب الكعبة كانتا من الذهب فوقعت فتنة بمكة سنة ٢٥١هـ بخروج بعض العلويين، فقلع عامل مكة ماعلى عضادتي باب الكعبة من الذهب فضربه دنانير، واستعان به على حرب العلوي الذى خرج، وصاروا يسترون العضادتين بالديباج.

ووقعت بعدها فتنة بمكة سنة ٢٦٨هـ فقلع عامل مكة يومئذ مقدار الربع من الذهب الذى كان مصفى على باب الكعبة، ومن أسفله وماعلى الأنف من الباب الشريف من الذهب وضربه دنانير، واستعان به على دفع تلك الفتنة، وجعل بدل الذهب فضة مموهة، فإذا تمسح الحجاج به أيام الموسم تبركاً بذلك المكان الشريف ذهب صبغ الذهب وانكشفت الفضة فيجدد تمويهها كل سنة، والمناسب إعادة ذلك ذهباً صرفاً كما كان، وأن الرخام في الحجر الشريف قد تكسر ويحتاج إلى التجديد، وأن بلاط المطاف حول الكعبة الشريفة لم يكن تاماً، ويحتاج إلى أن يتم من جوانبها كلها، وأن ذلك من أعظم المقربات وقد رفع إلى الديوان العزيز والأمر راجع إلى الخلافة الشريفة والسلام.

---

(١) ينظر: الجامع اللطيف ص/ ١٢٦.(ج)

فلما أشرف الوزير على هذه المكاتبات بادر وعرضها على الخليفة المعتضد بعمل جميع مانهى عليه على الوجه المطلوب من ترميم الكعبة الشريفة وغيرها، وهدم دار الندوة وتنظيف المسيل، وأمر أن يحمل من خزانته مال عظيم لهذا وأمر القاضي ببغداد يومئذ وهو القاضي يوسف بن يعقوب، أن يرتب ذلك ويجهز لعمله من يعتمد عليه، فجهز بعضه نقداً في أيام الجمع مع ولده أبي بكر عبد الله بن يوسف، وأرسل بباقي المال سفائح سلمها إلى ولده يستلمها ممن كتب اسمه في السفائح بمكة وعين لهذه الخدمة رجلاً يقال له: أبو الهياج عميرة بن حيان الأسدي فوصل إلى مكة في موسم حج سنة ٢٨١هـ فحلى بالذهب الخالص باب الكعبة الشريفة وحج وتخلف بمكة أبو الهياج المذكور ومن معه من العمال والأعوان.

وعاد عبد الله بن القاضي يوسف مع الحجاج إلى بغداد ليرسل إليه مايحتاج إليه من بغداد ليكمل ماأمر به من العمارة.

فشرع أبو الهياج في حفر الوادى وما حول المسجد فحفر حفراً جيداً حتى ظهر من درج المسجد الحرام الشارعة على الوادى اثنتا عشرة(١) درجة. وإنما كان الظاهر منها خمس درج فحفر الأرض ورمى بترابها خارج مكة، ونظفت دار الندوة من القمائم والأتربة، وهدمت وحفر أساسها وبنيت وجعلت مسجداً وأدخل فيها أبواب المسجد التي كانت شارعة قبل هذا البناء، ثم فتح لها من جدار المسجد الكبير ستة أبواب كبار سعة كل باب خمسة أذرع وارتفاع كل باب من الأرض إلى السماء أحد(٢) عشر ذراعاً وجعل بين الأبواب الكبار ستة أبواب صغار وارتفاع كل باب ثمانية أذرع وسعة كل باب ذراعان ونصف ذراع، وجعل في هذه الزيادة بابين بطاقين شارعين إلى الخارج في جانبها الشمالي، وباب بطاق واحد في جانبها

---

(١) في الأصل (اثنى عشرة)

(٢) في الأصل (احدى)

الغربي، وأقيمت أروقتها وسقوفها من جوانبها الأربعة، وركبت سقوفها على أساطينها، وسويت سقوفها بخشب الساج، وجعل له منارة، وفرغ من عمارتها في ثلاث سنين، ولعل إكمالها في سنة٢٨٤هـ إلا أنها ما استمرت على هذه الهيئة، بل غيرت بعد قليل إلى وضع أحسن منه بعد المعتضد المذكور.

قال الفاكهي: إن قاضي مكة محمد بن موسى لما كان إليه أمر البلد جرّد بناء دار الندوة وغير الطاقات التي كانت فتحت في جدار المسجد الكبير وجعلها متساوية واسعة بحيث صار كل من في زيادة دار الندوة من وصل وغيره يمكنه مشاهدة البيت الشريف، وجعل أساطينها حجراً مدوراً منحوتاً، وركب عليها سقوفاً من الخشب الساج منقوشاً مزخرفاً عقوداً بالآجر والجص، ووصل هذه الزيادة بالمسجد الكبير وصولاً أحسن من الأول وجدّد شرفاتها و بيضها.

وفي سنة خمس وثلثمائة في أيام المقتدر بالله زاد قاضى مكة يومئذ محمد ابن موسى في الجانب الغربي قطعة عند باب الخياطين(١) وباب بنى جمح وهي المسوح الذى كان بين دارى زبيدة أم المؤمنين وعمل ذلك مسجداً وصله بالمسجد الكبير، وطول هذه الزيادة من الأساطين التي في وزان جدار المسجد الكبير إلى القبة التي عليها باب ابراهيم سبعة وخمسون ذراعا إلاّ سدس ذراع، وعوض هذه الزيادة من جانبها الشامي إلى جانبها اليماني، وذلك من جدر رباط الخوذي إلى رباط داشت اثنان وخمسون ذراع وربع ذراع، وفي هذه الزيادة في جانبها الشرقي المتصل بالمسجد الكبير صفان من الرواق على أساطين منحوته من الحجارة، وكذلك في جانبها اليماني سبيل ماء وسط رواقيه، وكانت بهذه الزيادة منارة ذكرها الفاسي.

---

(١) في الأصل (الحناطين)ويقول صاحب المطول انما سمي هذا الباب بباب ابراهيم لأن رجلا خياطا كان يجلس عنده فعرف به. وينظر: تاريخ عمارة المسجد الحرام ص/٧٨.

قال شيخنا رحمه الله تعالى: لا أدرى من بناها ولا متى بنيت وهدمت، وأما السبيل(١) فكان موجوداً إلى سنة ٧٨٣هـ فهدم بوصول العمارة الجديدة السلطانية، وأعيد بناؤه(سبيلاً) كما كان اهـ.

وفي يوم النحر يوم الثلاثاء عاشر ذى الحجة سنة ٣٣٧هـ، ورد سنبر القرمطي ومعه الحجر الأسود، وحضر أمير مكة يومئذ، وأظهر سنبر سفطاً أخرج منه الحجر الأسود وعليه ضباب من فضه في طوله وعرضه تضبط شقوقا حدثت فيه بعد قلعه، واحضر معه جصاً يشده به فوضعه حسن بن المرزوق(٢) لبناء مكانه الذى قلع منه وقيل: بل وضعه سنبر بيده، وقال: أخذناه بقدرة الله تعالى واعدناه بمشيئة الله، وقد أخذناه بأمر، ونظر الناس الحجر الأسود فقبلوه واستلموه وحمدوا الله تعالى، وحضر ذلك محمد بن نافع الخزاعي ونظر إلى الحجر الأسود وتأمله فإذا السواد في رأسه دون سائره وسائره أبيض.

وكانت مدة استمرار الحجر عند القرامطة اثنتين وعشرين سنة إلا أربعة أيام، وقصة القرامطة مفصلة في كتب التواريخ ومافعلوه من قتل المسلمين، ونهب أموالهم، ومنعهم الحج إلى غير ذلك من الأمور القبيحة نعوذ بالله منها(٣).

ثم إن الحجبة خافوا على الحجر الأسود من استطالة يد خائن إليه لعدم استحكام بنائه فقلعوه وجعلوه في البيت الشريف حفظاً له وصوناً عمن أراده بسوء، ثم أمروا صائغين فصنعا له طوقاً من فضة وزنه ثلاثة آلاف وسبعة وثمانون درهماً، وطوقوا به الحجر وشدوا عليه به وأحكموا بناءه في محله كما كان ذلك قديما، وكما هو الآن.

---

(١) في الأصل بدون (الفاء)

(٢) في الأصل (المزوق)

(٣) ومن عجب، ان يتجرأ بعض الكتاب اليوم على حرمة التاريخ، فيجعلون من حركة القرامطة حركة(تقدمية أو اشتراكية)(ج)

وفي سنة ٦٣١هـ أمر المنتصر بالله العباسي بعمارة المطاف الشريف فعمر وكتب ذلك في حجر من الرخام الأزرق الصافي منقور فيه بالمثبت والحجر المذكور في لصق الكعبة الشريفة في وسط مقام سيدنا جبريل عليه السلام باق إلى الآن.

الباب السادس

فيما وقع من ترميم المسجد الحرام في دولة الجراكسة



فمن ذلك أنه كان وقع في أيام الناصر فرج بن برقوق حريق في المسجد الحرام ليلة السبت ٨٠٢/١٢/٢٨هـ، وسبب ذلك ظهور نار من رباط آمشت الملاصق لباب حزورة من أبواب المسجد الحرام في الجانب الغربي منه، وكان سببه والله أعلم أن بعض أصحاب الخلاوي ترك سراجاً موقداً في خلوته، وخرج عنها فسحبت الفارة الفويسقة فتيلة السراج منه إلى خارجه، فاحرقت ما في الخلوة واشتعل اللهيب في سقف الخلوة وخرج من الشباك المشرف على الحرم، واتصل بسقف المسجد لقربه منه، فما كان أسرع من اشتعال سقف المسجد والتهابه وعجز الناس عن اطفائه(١) لعلوه وعدم وصول اليد إليه، فعم الحريق الجانب الغربي من المسجد الحرام واستمرت النار تأكل السقف إلى أن وصل الحريق الى الجانب الشامي، واستمرت تأكل من سقف الجانب الشمالي إلى أن انتهى الى باب العجلة(٢)، وكان هناك أسطوانتان هدمها السيل العظيم المهول الذى دخل المسجد الحرام في الثامن من جمادى الأولى من السنة المذكورة، وخرب عمودين من أساطين الحرم الشريف بما عليها من العقود والسقوف، فكان ذلك سبباً لوقوف الحريق وعدم تجاوزه عن ذلك المكان.

---

(١) في الأصل (طفية)

(٢) يسمى الآن (باب الباسطية)

قال الفاسي: ثم قدر الله تعالى عمارة ذلك في مدة يسيرة على يد الأمير بيسق الظاهري، وكان قدومه إلى مكة لذلك في موسم سنة ٨٠٣هـ وكان هو أمير الحاج المصري، وتخلف بمكة بعد الحج لتعمير المسجد الحرام، فلما رحل الحجاج من مكة شرع في تنظيف الحرم من تلك الأكوام التراب، وحفر الأرض وكشف عن أساس المسجد الشريف وعن أساس الأسطوانات في الجانب الشامي منه إلى باب العجلة، فظهر أساس الأسطوانات مثل تقاطيع الصليب تحت كل أسطوانة، فبناها وأحكم تلك الأساسات على هيئة بيوت الشطرنج تحت الأرض، وبناها إلى أن رفعها إلى وجه الأرض على أشكال زوايا قائمة، وقطع من جبل بالشبيكة على يمين الداخل إلى مكة أحجار صوان منحوته على شكل نصف دائرة تصير على آخر منحوت مثله، دائرة تامة في سمك ثلثي ذراع وضعت على قاعدة مربعة منحوته على محل التقاطع الصليبي على وجه أساس المرتفع على الأرض، ووضع عليها دائرة أخرى مثل الأولى ووضع بينها بالطول عمود حديد منحوت له بين الحجرين، وسبك على جميع ذلك بالرصاص إلى أن ينتهي طوله إلى طول أساطين المسجد، فيوضع عليه حجر منحوت من المرمر هو قاعدة ذلك العمود من فوقه وينجر له خشب مربع يوضع عليه ويبنى من فوق طاق يعقد إلى العمود الآخر، ويبنى مابين ذلك بالآجر والجص إلى أن يصل إلى السقف إلى أن تم الجانب الغربي من المسجد الحرام على هذا الحكم. وبقيت القطعة التي من الجانب الشامي إلى باب العجلة فأكملوها بالقطع من عمد الرخام الأبيض موصلة بالصفائح من الحديد إلى أن لاقوا به العمد التي بنوها بالحجر الصوان المنحوت لعدم القدرة على العمد الثلاثة الرخام، فصارت الجوانب من المسجد بعمد الرخام، والجانب الغربي وحده بحجر الصوان المنحوت المدور على شكل عمد الرخام.

وكملت عمارة هذه العمد في آخر شعبان سنة أربع وثمانمائة ولم يبق غير عمل السقف، وأخّر عمله لعدم وجود خشب يصلح لذلك بمكة إذ لا

يوجد غير خشب الدوم، وخشب العرعر، وهوليس له قوة كالخشب الساج الذى لايجلب إلا من الهند وخشب الصنوبر والسرو الذى لايجلب إلا من الروم، فلزم تأخر إكماله إلى إحضار القدر الذى يحتاج إليه من الخشب، وشكر الناس همة الأمير بيسق على سرعة إتمام هذا القدر من العمل في مدة يسيرة. ثم عاد إلى مصر الأمير بيسق لتجهيز مايحتاج إليه من الخشب للمسجد الحرام(ووصل الى مصر(١)) في أوائل سنة ٨٠٥هـ وفي سنة ٨٠٧هـ قدم إلى مكة الأمير بيسق لعمارة سقف الجانب الغربي من المسجد الحرام وغيره مما تشعث من سقف المسجد الحرام من كل جانب، وأحضر معه(٢) الأخشاب المناسبة لذلك وهيأها لعمل السقف ونقشها بالألوان وزوقها، واستعان بكثير من خشب العرعر الذى يؤتى به من جبال الحجاز من جهة الطائف لعدم وجود خشب الساج في مكة، وبذل همته واجتهاده إلى أن سقف جميع الجانب الغربي من المسجد وأكمله بخشب العرعر، وعمر معه بعض الجانب الشامي أيضا إلى باب العجلة، فتم عمارة المسجد الشريف على تلك الأسطوانات المنحوتة من الحجر الصوان، وعلق في تلك السقف سلاسل من نحاس وحديد لتعليق القناديل في الرواق الوسطاني مع الأروقة الثلاثة(٣) في حكم سائر المسجد الحرام، غير أن الجانب الشرقي واليماني وأكثر الشامي إلى باب العجلة كان في كل عقد من العقود التي تلى صحن المسجد الشريف ثلاث سلاسل، إحداها في وسط كل عقد والثانية عن يمينه والثالثة عن شماله لتعليق القناديل. أما هذا الجانب الغربي فكانت فيه السلاسل على هذا الحكم، فلما احترق(٤) وأعيدت عقوده لم يركب فيها السلاسل، ولاأدرى هل كانت هذه السلاسل التي هي

---

(١) زيدت من المطول ص ٩٠ وبعدها فيه: (وكان صاحب مكة يومئذ الشريف حسين بن عجلان). وينظر: تاريخ عمارة المسجد الحرام ص/ ٩٠

(٢) لا توجد كلمة(معه) في المطول.

(٣) في المطول ص ٩١ (من الأروقة الثلاثة على...الخ).

(٤) في الأصل (احترقت).

خارجة عن الأروقة تحت العقود البرانية فيها، يعلق فيها القناديل أحيانا أم كانت لمجرد الزينة؟ ولم اطلع على ذكر قناديلها، ولاكيف كانت؟ ومتى بطلت؟ وأكمل عمارة سقف الجانب الغربي وما احترق من الجانب الشامي إلى باب العجلة في سنة سبع وثمانمائة، وعمر مع ذلك في الجوانب الثلاثة من المسجد الحرام مواضع كثيرة من سقفها كان قد انكسر أعوادها ومال بعضها، وكان يسيل منها الماء إلى المسجد الشريف، فأصلح الأمير بيسق جميع ذلك بالطبطاب وبالنورة التي في سطح الأسقف ودلكها وسواها وأتقن عملها وعمر ما في صحن المسجد من المقامات الأربعة التي وضعت للمذاهب على الهيئة القديمة، وبذل في صرف ذلك الأموال العظيمة، وشكره الناس على ذلك.

ومن العمائر الحرمية في أيامه(١) تجدد عقد المروة بعد سقوطه في سنة ٨١١هـ.

ووقع في أواسط رمضان(٢) اصلاح مواضع في سطح الكعبة كان يكثر واكف المطر منها إلى أسفلها، منها مواضع عند الطابق الذى على الدرجة التي يصعد منها إلى سطحها، ومنها مواضع عند الميزاب، وكان الفتح الذى في هذا الموضع متسعاً خطراً يصل الماء منه إلى الجدار الشامي للكعبة لقربه منه، وينزل الماء منه وسط الجدار، وذلك بعد قلع اللوح الذى يستر مجرى الماءو وأعيد اللوح كما كان، في موضع بقرب الروازن التي للقبق. وكان إصلاح المواضع المذكورة بالجبس(٣) بعد أن قلع الرخام الذى هناك وأعيد في موضعه وأبدل بعضه بغيره، وأصلحت الروازن كلها بالجبس وكانت

---

(١) اى في أيام الناصر فرج بن برقوق الجركسي كما في المطول ص ٩٢. وتاريخ عمارة المسجد الحرام ص/ ٩١

(٢) عبارة المطول ص ٩٢(وفي سنة ٨١٤ وقع في أواسط رمضان)وقد سقط من الأصل تحديد السنة.

(٣) الجبس هو الجص

الأخشاب المطبقة بأعلى الروازن التي عليها البناء المرتفع في سطح البيت قد تخربت فعوضت بخشب سوى ذلك، وأعيد البناء الذى كان عليها كما كان إلا الروزن الذى يلى الكعبة فان خشبه لم يغير، وكان الروزن الذي يلى الركن الغربي قد تخرب بعض الخشب الذى في جوفه مما يلى السقف والكسوة التي في جوف الكعبة، وكانت الكسوة التي فيه قد زال تشبكها فسمرت وكان الروزن الذى يلى الركن اليماني منكسراً فقلع وعوض بروزن جديد وجد في أسفل الكعبة.

قال شيخنا رحمه الله تعالى: وهذه الروازن لاوجود لها الآن فإنها سدت جميعها، وأصلح في الدرجة أخشاب منكسرة، وكل ذلك كان عقب مطر عظيم هطل بمكة في أوائل شهر رمضان. انتهى من السنة المذكورة(١).

وفي سنة خمس عشرة وثمانمائة عمرت أماكن من سقف المسجد الحرام وعقدان من جانب الركن اليماني المتصل بصحن المسجد.

وفي مستهل ذى الحجة سنة ٨١٦هـ قدم إلى الحج أحد خواص السلطان الملك المؤيد شيخ« المحمودي(٢)» فرأى جانب باب الكعبة الأيمن محتاجاً إلى الحلية، فأخرج من ماله مقدار مئتى درهم فضة، فحلاها بها ثم طلاها بالذهب، وفرغ من عمل ذلك قبل الصعود.

وفي سنة ٨٢٢هـ هدمت مظلة المؤذنين التي فوق زمزم لخراب خشبها وبنيت بالحجر المنحوت ووسعت أحواض زمزم وأتقن عملها، وفرغ منه في شهر رجب من السنة المذكورة(٣).

---

(١) اى في سنة ٨١٤ التي لم يشر اليها المختصر، وقد نبهنا الى هذا.

(٢) اثبتناها من المطول ص ٩٥

(٣) لم نجد العبارة التي بين القوسين في نسخة المطول المطبوعة بالمطبعة العامرية العثمانية، ولكنها مثبته في طبعة أوروبا ص ٢٠٤ وقد أثبتنا منها كلمة«باب» التي لم تكن بالأصل.

وفي أول سني سلطنة السلطان برسباى الجركسي، وكانت سلطنته في سنة ٨٢٥هـ أرسل الأمير مقبل القديدي وأمره بعمارة أماكن متعددة بالمسجد الحرام كان قد استولى عليها الخراب، فأحسن بناءها. وجدد كثيراً من سقف المسجد الحرام التي تآكل خشبها، وكذلك جدد سطح الكعبة الشريفة وكانت الأخشاب التي تربط فيها الكسوة الشريفة قد تآكلت وذابت، فقلعها ووضع عوضها أخشابا جديدة محكمة بمسامير كبار من الحديد وأحكم ذلك غاية الإحكام.

وفي سنة ست وعشرين وثمانمائة أمر الأشرف برسباي مقبل القديدي المذكور بقلع الرخام ا لمفروش في باطن الكعبة وجدرانها من الداخل لتخربه وتقلعه وأن يجدده برخام جديد، وأن يعيد ماكان صحيحا غير منكسر وكذلك يصلح الأساطين التي في جوف الكعبة الشريفة ويحكمها، وذكر شيخ الكعبة أنه سمع صريرا في سقف الكعبة فتتبعوا ذلك فوجدوا إحدى الأسطوانات التي تقابل باب البيت قد مال رأسها من محله فأعادها إلى محلها وأحكمها وعمر ذلك عمارة حسنة وكتب اسم السلطان الأشرف برسباي في لوح رخام ونقشه بالذهب، وركبه في جدار البيت الشريف وهو باق فيه إلى الآن وفيهاعمر(١) الرخام الذي في أرض الحجر و باطنه وظاهره وأعلاه وأسفله وفيها عمر باب الجنائز(٢) أحد أبواب المسجد الحرام على صفته الآن لأنه كان قد سقط مافوق أحد البابين إلى منتهى جدار المسجد الحرام المقابل لرباط المراغى وتخرب مابين هذا الباب والباب الآخر وأزيل الحاجز الذى كان بينهما وأزيلت الأسطوانتان الرخام اللتان كانتا

(١) في المطول ص ٩٦«وفي أول هذا العام عمر الخ»

(٢) يعرف الآن بباب العباس لوقوعه أمام رباط العباس وقال عنه صاحب المطول في ص ٩٦ في تسميته الجنائز:(وانما سمى بباب الجنائز لأنه كان مخصوصا بدخول الجنائز منه إلى المسجد).

تليان هذا الحاجز وعمر بحجارة منحوته حتى ارتفع وعمر أماكن بهذا الموضع بين باب علي و باب العباس وموضع آخر يتصل بباب الأفضلية(١).

قال شيخنا: رباط المراغي هو الآن محل مدرسة السلطان المرحوم قايتباي. قال النجم بن فهد، وفيها عمر الأمير مقبل المذكور عدة عقود بالمسجد الحرام في الجانب الشامي من الدكة المنسوبة إلى أبي السعود بن ظهيرة إلى باب العجلة خلف مقام الحنفية وزاد في عرض العقود التي تلى الصحن من هذا الجانب ثلاثة عقود في الصف الثالث وأحكم الأساطين التي عليها هذه العقود وهي سبع أساطين في الرواق الأول وثمانٍ في الذى يليه(٢) وسبع متصلة بجدار المسجد وجدد أبواب المسجد الحرام: باب العباس وهو ثلاثة أبواب و باب علي وهو ثلاثة أبواب أيضاً والباب الأوسط من أبواب الصفا وهو خمسة، و باب العجلةو وهو باب واحد وأخيراً باب الزيادة وهو الواقع في الركن الغربي من الزيادة ورمم باقى أبواب المسجد و بيض غالبه وأصلح سقفه(٣) اهـ .

وفي سنة ٨٤٣هـ في سلطنة الظاهر جقمق(٤) قلع الرخام الذى في سطح الكعبة الشريفة لأنه كان ينقط منه الماء وقت المطر إلى جوف الكعبة وكان الخشب الموضوع في السطح الشريف الذى تربط فيه حبال الكسوة قد تآكل، وتآكل خشب الروازن الأربعة التى في سقف الكعبة التى كانت للضوء فغير ذلك جميعه وجردت الكعبة من خارجها عن الكسوة

---

(١) هذه العبارة ذكرها صاحب المطول في ص ٩٧ منسوبة إلى كتاب«إتحاف الورى بأخبار أم القرى» للنجم عمر بن فهد وقد جاء فيها في الأصل« اللتين كانتا» وهو خطأ واضح. والمدرسة الأفضلية(هي أوقاف الخواجا محمد بن عباد الله و بينهما بابان للمسجد أصلهما باب واحد يقال له«باب النبي صلى الله عليه وسلم» ٤٠٠ ص ٩٧ من المطول.

(٢) بعدها في المطول:(وثلاثة في الذى يليه وسبعة...الخ) ص٩٨.

(٣) تتمة العبارة في المطول ص٩٨(وكل ذلك على يد الأمير مقبل المذكور ومعماره المعلم جمال الدين يوسف).

(٤) أجرى هذ العمائر الأمير سودون المحمدي كما في المطول.

ووضعت الكسوة داخل البيت واستمرت مجردة يومين إلى أن اكمل ترميمها واصلاحها وأعيدت الكسوة عليها في ضحى يوم الإثنين لثمان بقين من صفر سنة ٨٤٣هـ(١) وأصلح أيضاً رخام الحجر وبيض مأذنة باب السلام وأصلح مأذنة باب العمرة وبيض مأذنة باب حزورة(٢) ورمم أسافل مأذنة باب علي وأصلح سقف المسجد الحرام وأصلح الرفرف الدائر بالمسجد الحرام وبيض علو مقام إبراهيم وعلو مقام الحنفية وقبة باب إبراهيم والأميال التى بلصق دار العباس في المسعى والميل الذى في ركن المسجد بقرب البازان والذى يقابله التى هي علامة للسعى بينهما.

ثم تمم الأمير سودون(٣) مابقى من المواضع المأثورة بمنى والمشعر الحرام(٤) ومسجد نمرة(٥) وقطع أشجار السلم والشوك الذى كان بين المأزمين في طريق عرفة لأنها كانت تضر الضرر الشديد بالحجاج وأزال الصخار الكبار ونظف الطريق ووسعها، وشكره الحجاج على ذلك.

وفي سنة ٨٥٢هـ عمر ناظر الحرم بيرم خواجا في الجانب الشرقي قطعة من جدار المسجد مما يلى قايتباى وجدد في الرواق القبلي من الجانب الشامي سبعة عقود، وعمر مسجد الخيف بمنى وصرف مالاً عظيما في جهات الخيرات.

وفي أواخر سنة ٨٥٤هـ عمر الأمير برديك ناظر الحرم بعض سقوف المسجد الحرام.

---

(١) في المطول ص ١٠٠(واصلح أيضاً رخام داخل الكعبة من الجدار المقابل للباب الشريف)

(٢) يعرف الآن بباب الوداع.

(٣) قوله:«ثم تمم» من زيادات المختصر، وهو يوهم ان الذى بدأ بتلك العمائر سواه بينما الأمير سودون نفسه هو الذى بدأها كما يذكر صاحب المطول في ص ١٠٠.

(٤) بمزدلفة، وينظر عن انشاء مسجد (نمرة): شفاء الغرام ص/٣٠٥، والأزرقي ١٨٧/١، ومناسك الحج للحربي ص/٥١٠.(ج)

(٥) بعرفة.(ج)

وفي أواخر سنة ٨٥٤هـ والتي قبلها في سلطنة الاشرف قايتباى المحمودي، بنى مسجد الخيف بناءً عظيماً محكماً، وجعل في وسطه قبة عظيمة هي حد مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في خيف منى، وبنيت جدرانه الميحطة به، وبنى أربع بوائك من جهة القبلة فصارت قبة عالية فيها محراب النبي صلى الله عليه وسلم، وبلصق القبة مأذنة غير المأذنة التي على عقد باب المسجد وبنى داراً بلصق الباب كانت مسكن أمراء الحج، وعلى الباب في الدار سبيلاً يملأ من صهريج كبير جعل في صحن المسجد، يمتلىء من المطر، وجعل للمسجد باباً آخر إلى جهة عرفة، وخوخة صغيرة إلى الجبل الذى في سفحه غار المرسلات(١).

وعمر السلطان المذكور مسجد(نمرة) في عرفة وجعل في صدره رواقين عظيمين، وجدد العلمين الموضوعين لحد عرفة(٢) والعلمين الموضوعين لحد الحرم(٣)، وبيض المسجد الذى بمزدلفة القائم على جبل قزح، وأصلح العيون والبرك، وحصل النفع بذلك للخاص والعام.

وفي سنة ٨٨١هـ أصلح خشب المسجد بالرواق الشرقي وغير رخام الحجر(٤) الشريف من داخله وأصلحت الشقوق التي بين أحجار المطاف، ورخم داخل البيت الشريف(٥). ومما عمره السلطان قانصوه الغوري بمكة المشرفة باب إبراهيم بعقد كبير جعل علوه قصراً وفي جانبه مسكنين لطيفين وبيوتاً معدة للكراء حول باب إبراهيم ووقف الجميع على جهات الخير، ورمم رخام الحجر وفرغ منه سنة ٩١٧هـ(٦) وبنى بجدوده سوراً فإنها لم تكن مسورة.

---

(١) بعده في المطول ص ١٠٣(غار المرسلات وهو الموضع الذى أنزلت فيه سورة المرسلات).

(٢،٣) في الأصل (الذى بحد) والتصحيح من المطول ص ١٠٤

(٤) في الأصل (الحرم) والتصحيح من المطول ص ١٠٤

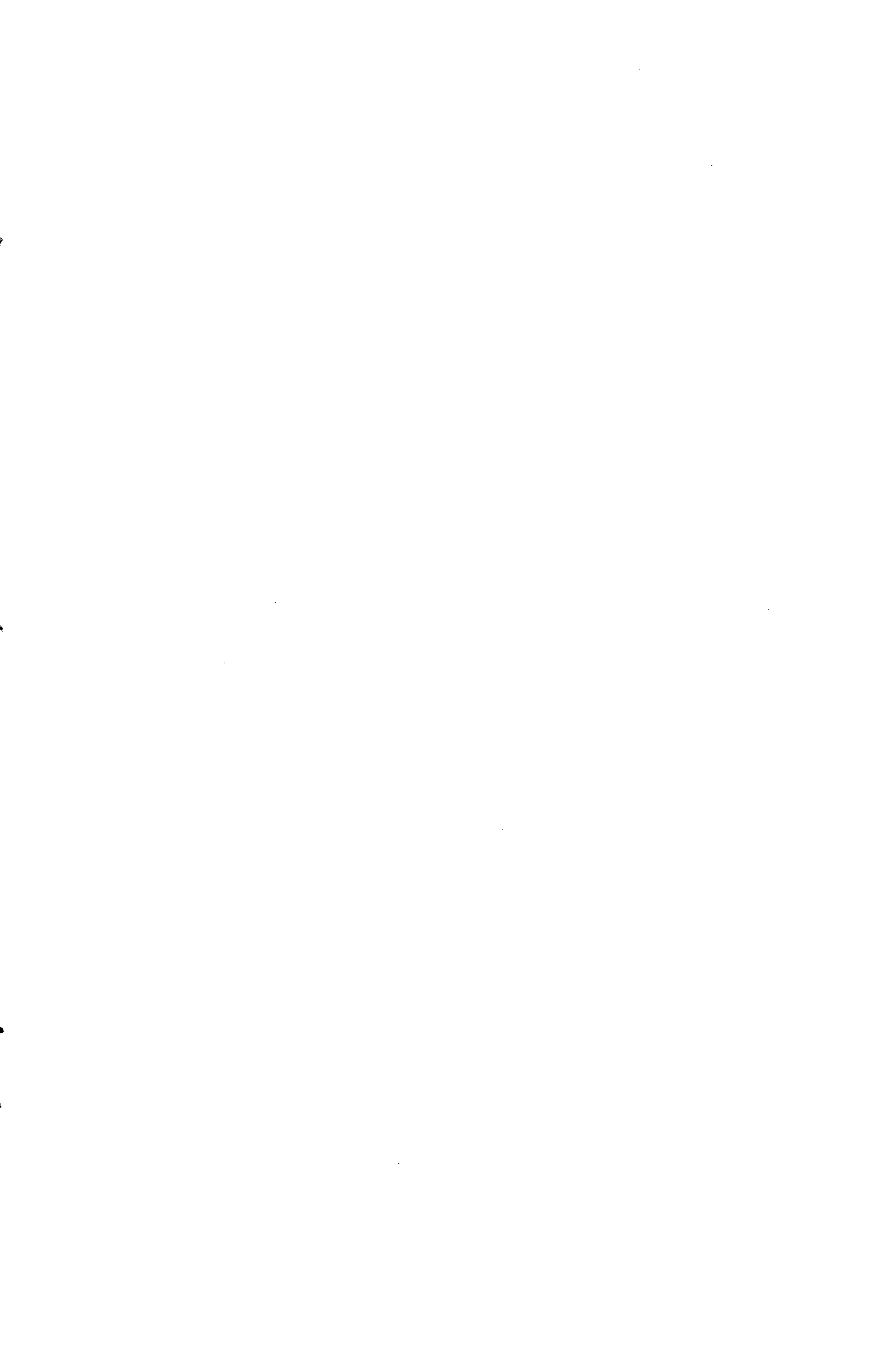
(٥) جاء في المطول ص ١٠٤(وفي سنة تسع وسبعين وثمانمائة وصل منبر خشب للمسجد الحرام في الخامس والعشرين من ذى القعدة.. وخطب عليه الخطيب في أول ذى الحجة) وقد ذكرناه لأهميته التاريخية.

(٦) في المطول ص ١١٣(وفرغ من عمله عام تسعة عشر وتسعمائة).



الباب السابع

فيما لسلاطين آل عثمان من الخير والإحسان بالبلد الحرام



فمنه أن السلطان محمد خان ابن السلطان يلدرم بايزيد خان عليهما الرحمة والرضوان، عمل صراً لأهل الحرمين الشريفين وكان يرسله لهم من الروم قبل أخذهم لديار العرب ولذا سميت الرومية(١).

ثم ولي السلطنة بعده السلطان مراد خان(٢) اسكنه الله تعالى أعلى الجنان فزاد في الصر وكان يرسل كل عام أضعاف ما يرسله والده.

ثم ولي بعده(٣) السلطان بايزيد خان بن السلطان محمد خان الغازي وهو أيضاً كان يرسل الصر لأهل الحرمين الشريفين وذكر أن شاعراً من شعراء المدينة المنورة يسمى أحمد العليف(٤) امتدحه بقصيدة وأرسلها إليه فأرسل له ألف دينار ورتب له في الصر كل سنة مائة دينار.

ثم آل الأمر إلى أن ولي السلطنة المرحوم السلطان سليم خان حفه الروح والريحان فافتتح مصر وباقي ديار العرب وأرسل الصر لأهل الحرمين

---

(١) في المطول ص ١١٨(وهو أول من عمل الصر لأهل الحرمين من آل عثمان).

(٢) مراد بن محمد بن يلدرم(مراد الثاني).

(٣) يوهم تعبيره هنا ان السلطان بايزيد تولى بعد السلطان مرادخان السابق ذكره قبله، بينما الصواب أن السلطان محمد تولى السلطنة بعد أبيه مراد ثم تولى بعده السلطان بايزيد وقد أشار إلى ذلك صاحب المطول ص١١٨.

(٤) سماه صاحب المطول في ص١٢١(شهاب الدين بن الحسين العليف) ثم سماه في ص ١٢٢(أحمد العليف) ولعل الأول لقبه.

الشريفين أضعاف ماكان يرسله والده، وكتب له دفتراً وقرر لجماعة من المجاورين لكل شخص مائة دينار.

وكان للجراكسة صر يسمى الذخيرة يرسل كل سنة من الخزينة للمستحقين فلما أن أخذ المرحوم مصر أمر بإجرائه من الخزينة ليكون ثوابه له وهي مستمرة إلى الآن، ورتب ثلاثين نفراً يقرءون القرآن كل يوم لكل واحد منهم اثنا عشر ديناراً ذهباً في دفتر الرويقة، وهي باقية إلى الآن، وكتب غالب المستحقين في الرويقة، جزاه الله تعالى خيراً.

ثم أرسل من البحر إلى جدة سبعة آلاف أردب قمحاً، منها خمسة آلاف لأهل مكة وألفان لأهل المدينة، فوزع على المستحقين وتضاعف الدعاء في صحائفه الشريفة.

ومما جدده الأمير مصلح الدين المذكور بناء مقام الحنفية، فإنه كان مسقفاً على أربعة أعمدة في صدر محراب(١) فأراد أن يوسعه ويجعله قبة، فجمع العلماء واستشارهم في ذلك، فمنهم من منع ذلك وقال لايجوز تعدد المقامات في مسجد واحد، ومنهم من جوّز ذلك. واتفق رأيهم في الآخر على البناء(٢) فشرع الأمير مصلح الدين وهدم ما كان ووسع المكان وعمل قبة عالية من الحجر الأصفر والأحمر الشميسى(٣) وأصرف على ذلك ذهباً كثيراً، واستمر كذلك إلى أن غيره الأمير خوشكلدي وسيأتي بيانه فيما بعد، رحمهم الله تعالى.

---

(١) (عمل سنة إحدى وثمانمائة)المطول ص ١٣٣.

(٢) يظهر أن قوله«واتفق رأيهم في الآخر» من زيادات المختصر إذ لم يذكر هذه الجملة صاحب المطول بل هو يقول في ص ١٣٣(ثم انفض المجلس على غير اتفاق، ثم ذكر القاضي بديع الزمان بن الضياء الحنفي أن جده القاضي أبا البقاء بن الضياء أفتى بجواز ذلك فشرع..الخ).

(٣) نسبة الى موضع قريب من مكة يسمى«الشميسي» واسمه التاريخي «الحديبية» ولم نجد استعمال صيغة (اصرف) بمعنى انفق فيما لدينا من كتب اللغة.

الباب الثامن

فيما للمرحوم سليمان خان .. عليه الرحمة والرضوان من المآثر الحسان .. لجيران بيت الله الحرام .



فمن ذلك الصدقة الروحية التي هي مادة حياة أهل مكة، وهي وإن كانت في زمن أسلافه الكرام إلا أنه زادها ونماها فصار يرسل كل عام خاصة لأهل مكة المشرفة ثمانية عشر ألفاً ذهباً .

ومنه صدقة الحب، وقد تقدم أنه وصل في زمن والده لما افتتح ديار العرب، غير أنه كان يرسل من الأنبار الخاص، فأفرد لها السلطان سليمان خان قرى بمصر اشتراها(١) ووقفها وجعل غلتها لأهل الحرمين وجعل لأهل مكة ثلاثة آلاف أردب وخمسة آلاف أردب لأهل المدينة(٢).

ومنها الجوالى التي يرسلها كل سنة إلى مكة المشرفة، وهي جمع جالية، وهي مايؤخذ من أهل الذمة في مقابلة استمرارهم في بلاد الإسلام تحت الذمة وعدم جلائهم عنها، وهي من أحل الأموال إن أخذت على الوجه الشرعي. ومقدار مايصل كل سنة لأهل مكة المشرفة خاصة نحو ستة آلاف دينار.

ومن خيراته الدارة إجراء العيون ومن أعظمها إجراء عين عرفات إلى

---

(١) (من بيت مال المسلمين)ص ١٥٢ من المطول وفي الأصل (اوقفها).

(٢) عبارة المطول(وجعل من ريعها ألفاً وخمسمائة أردب لأهل المدينة المنورة..ثم ضاعفها وجعل في كل عام لأهل مكة المشرفة ثلاثة آلاف أردب، لأهل المدينة المنورة ألفي (أردب) ص١٥٣ أما نص مافي الطبعة الأوربية فهكذا:(وجعل من ريعها ألفا وخمسمائة أردب بالكيل المصرى لأهل مكة المشرفة، وخمسة آلاف أردب لأهل المدينة المنورة.الخ)ص ٣٣٢.

مكة المشرفة، وسبب ذلك أن العين التي كانت جارية بمكة هي عين(١) حنين إذا كثر المطر كثرت وزادت، وإذا قل المطر ضعفت بل وربما انقطعت عين حنين، وكثر اضطراب الحجاج والمجاور وقد عرض ذلك على المرحوم السلطان سليمان خان عليه الرحمة والرضوان فبرز أمره الشريف بإصلاح عين حنين وعين عرفات، وعين لها ناظراً اسمه مصلح الدين مصطفى من المجاورين بمكة، فبذل جهده في عمارتها وإصلاح قناتها إلى أن جرت عين

---

(١) المطول ص ١٥٤،١٥٥(وهي من عمل أم جعفر زبيدة بنت جعفر بن المنصور زوجة هارون الرشيد..لها مآثر عظيمة منها إجراء عين «حنين» إلى مكة المشرفة..ومنبع هذه العين في ذيل جبل شامخ يقال له«طاد» بالطاء المهملة والألف بعدها دال مهملة من جبال«الثقبة»من طريق«الطائف» وكان يجرى الماء إلى أرض يقال لها«حنين»يسقى به نخيل ومزارع مملوكة للناس واليها ينتهي جريان هذا الماء..«وكان يسمى حائط حنين» وهو موضع غزا فيه النبي صلى الله عليه وسلم المشركين. فاشترت زبيدة هذا الحائط وأبطلت تلك المزارع والنخيل وشقت له القناة في الجبال وجعلت له«الشحاحيذ» ـ البرك كما في مرآة الحرمين ـ في كل جبل يكون ذيله مظنة لاجتماع الماء عند الأمطار وجعل فيه قناة متصلة إلى مجرى هذه العين في محاذاتها يحصل منه المدد. فصار كل شحاذ عيناً يساعد عين حنين منها عين«مشاش» وعين «ميمونة» وعين «الزعفران» وعين «البرود» وعين«الطارقي» وعين«ثقبة»و«الحزبيات» وكل هذه العيون تنصب في..عين«حنين» بعضها يزيد وبعضها ينقص بحسبالأمطار.إلى إن وصلت على هذه الصورةإلى مكة المشرفة.

ثم إنها أمرت بإجراء عين وادى«نعمان» إلى عرفة و..منبعها ذيل جبل «كرا» وهو جبل شامخ عال جداً..تنصب من ذيل جبل«كرا» في قناة إلى موضع يقال له«الأوجر»من وادى نعمان..فعملت القنوات إلى إن جرى ماء عين «نعمان» إلى أرض عرفة، ثم أوبرت القناة بجبل «الرحمة» محل الموقف..وجعل منها الطرق إلى البرك التي في أرض «عرفات» ثم استمر عمل القناة إلى أن خرجت من أرض «عرفات» إلى جبل من وراء «المأزمين» على يسار العابر من عرفات و يقال له«طريق ضباب».ثم تصل منها إلى مزدلفة ثم تصل إلى جبل خلف« منى» في قبليها ثم تنصب إلى بئر عظيمة مطوبة بأحجار كبيرة جدا تسمى«بئر زبيدة» إليها ينتهي عمل هذه القناة وهي من الأبنية المهولة مما يتوهم أنه من بناء الجن)اهـ .

مكة، ودخلتها وملئت برك عرفة(١) وتضاعف الدعاء في الصحائف السلطانية.

ثم إن ناظر العين المذكور اشترى عبيداً سوداً من مال السلطنة، وجعل لهم جرايات وعلوفات من خزينة السلطان وهم باقون إلى الآن(٢).

ثم توجه مصطفى المذكور إلى الباب العالى وعرض في أمر العين أحوالاً يجب عرضها، وأجيب إلى كل ما سأل بشأن إصلاحها وكثر التراب في الدبول، فضعفت و يبست، فعرضت أحوال العيون إلى السلطنة الشريفة، فالتفتت خواطرها العالية إلى إصلاح ذلك، وقد استقر الحال على(٣) أن أقوى العيون عين عرفة، وأن دبلها يحتاج إلى الكشف والحفر والتنظيف(٤) وخمنوا مايصرف على ذلك، فكان نحو ثلاثين ألف دينار ذهباً.

فلما وصل الجواب إلى الباب في سنة ٩٦٩هـ(٥)، التمست صاحبة الخيرات حضرة خانم سلطان كريمة حضرة سليمان خان سقى الله عهودهم صوب الرحمة والرضوان أن يؤذن لها في عمل هذا الخير حيث كانت صاحبة الخير أولاً زبيدة العباسية، فأذن لها فاستشارت (الحضرة السلطانية وزراء ديوانها العالي(٦) فيمن يصلح لهذه الخدمة، فاتفقت آراؤهم على الأمير ابراهيم بن تغرى وردى المهمندار دفتر دار مصر سابقاً، فدفعت له السلطانة خمسين ألف دينار ذهباً ليصرفها على عمارة العين فوصل إلى مكة في

---

(١) في المطول ص١٥٦(وأصلح عين عرفات أواجراها إلى أن صارت تملأ البرك بعرفات= =وذلك سنة إحدى وثلاثين وتسعمائة) والمقصود بعين مكة (عين حنين).

(٢) اى الى زمنه.

(٣) العبارة في الأصل(فلما عن ذلك استقر الحال ان) وهي مختلة.

(٤) كان يظن حينئذ أن مجارى عين عرفات تصل من بئر زبيدة إلى مكة ولكنها مطمورة.

(٥) في الأصل سنة ٩٩٦ والصحيح ما أثبتناه و يفيد المطول أن عرض ذلك على السلطنة كان في اوائل سنة تسع وستين وتسعمائة. ص ١٥٧.

(٦) في الأصل«فاستشارت الوزير الأعظم» وهو مالاينسجم مع قوله:«فاتفقت آراؤهم» إذ لامرجع حينئذ لضمير الجمع، وقد أثبتنا عبارةالمطول ص ١٥٧.

الخامس والعشرين من ذي القعدة الحرام سنة تسع وستين وتسعمائة. فأول مابدأ به الأمير إبراهيم تنظيف الآبار التى يستقى منها الناس، وزاد في حفرها ليكثر ماؤها، وتوجه إلى أعلى عرفات وكثر تردده إليها وتفطنه لمجاريها ومثاقبها، وحصل بذلك الرفق للناس.

وشرع الأمير إبراهيم في الكشف عن دبول عين عرفات بهمة عالية وكان عدد المماليك القائمين في خدمته نحو أربعمائة مملوك(١) وعين لكل طائفة قطعة(٢) من الأرض لحفرها وتنظيف مافيها، وكان يظن أنه يفرغ من هذا العمل الذى جاء بصدده فيما دون العام ويأبى الله إلا ما أراد، ولما اتصل عمله بعمل زبيدة، ورأى أن زبيدة قد تركت الباقي لصلابة الحجر وصعوبة إمكان قطعه، وطول مسافة مايجب قطعه من بئر زبيدة إلى دبل منقور تحت الأرض في الحجر الصوان طوله(٣) ألفا ذراع بذراع البنائين حتى تصل بدبل عين حنين فبذل همته، وشرع في ذلك بأنواع المعالجات إلى أن قطع من المسافة ألف ذراع وخمسمائة ذراع بالعمل، وصار كل مافرغ المصروف طلب مصروفاً آخر إلى أن صرف أكثر من خمسمائة ألف دينار ذهباً إلى أن ذهب عمره ومات في ليلة الإثنين ثاني رجب سنة أربع وسبعين وتسعمائة ثم أقيم بعده في هذه الخلافة سنجق جدة الأمير قاسم بيك بإشارة مولانا شريف مكة وعرض ذلك إلى الباب العالى، وكان قد انتقل إلى رحمة الله تعالى السلطان سليمان خان، وتولى بعده نجله السلطان سليم خان سقى الله تعالى عهدهما صوب الرحمة والرضوان فعين للعمارة محمد بيك اكملجي زاده دفتر دار مصر سابقاً، فوصل إلى مكة وبذل همته ونفسه في هذه الخدمة الشاقة إلى أن انتقل إلى رحمة الله تعالى في جمادى الأولى سنة

---

(١) اصلحنا العبارة من المطول ص ١٥٨ وهي في الأصل(وكان جملة المشدين قائمون في حافته)

(٢) لم يعدد الطوائف من قبل، وقد عددهم صاحب المطول ص ١٥٩ فذكر العمال والبنائين والمهندسين والحفارين ومن إليهم.

(٣) هذه العبارة اختصرت هكذا: (وطول مسافة مايحتاج إلى قطعه ألفا ذراع).

٩٧٦هـ، ودفن بالمعلاة، ثم أقيم أيضاً في الخدمة الأمير قاسم المذكور سابقاً وعوض ذلك على الباب العالي فوصل الأمر بتفويض ذلك إليه(١) فاستمر يباشر الخدمة إلى أن انتقل إلى رحمة الله تعالى من الدار الفانية إلى الدار الباقية في أول رجب المرجب سنة ٩٧٩هـ.

فأقام مولانا الشريف شريف مكة(١)القاضى حسين بن حسين بن أبي بكر الحسيني شيخ الحرم، فعرض ذلك إلى الباب فوصل الأمر بالتعاطي للخدمة المذكورة، فبذل همته في ذلك وساعدته المقادير فكمل العمل فيما دون خمسة أشهر، فجرت عين عرفات في الدبول إلى أن دخلت مكة لعشر بقين من ذى الحجة الحرام سنة ٩٧٩هـ(٢). فجهزت البشائر إلى الباب العالي لحضرة السلطان سليم خان سقاه الله تعالى كؤوس الغفران وإلى حضرة خانم سلطان، فأنعمت على الجميع بأنواع الإنعامات، وصارت هذه العين من جملة الأعمال الصالحات الباقيات التى لا يمحوها تكرر السنين والأعوام.

ومن آثار المرحوم سلطان سليمان خان بوأه الله تعالى أعلى غرف الجنان المدارس الأربع السليمانيات. وسبب ذلك أن الأمير إبراهيم المأمور بإجراء عين عرفة عرض إلى الباب العالي أن المناسب للشأن الشريف أن تعمل أربع مدارس على المذاهب الأربعة يدرس فيها علماء مكة المشرفة(٣) وسطر ثواب ذلك في صحائف الحسنات السلطانية، فأجابه السلطان(٤) إلى ذلك،

---

(٤) في المطول ص ١٦٠ (وأن يكون..قاضى القضاة وناظر المسجد الحرام القاضى حسين الحسيني ناظرا).

(١) لم يذكر صاحب المطول أن القاضي الحسيني قام بالعمل بأمر من شريف مكة، بل أن كلامه يدل على أن القاضي قد قام بالعمل من تلقاء نفسه باعتباره ناظراً، وقد أيد من السلطنة.

(٢) احتفل أهل مكة بوصولها أيما احتفال وقد ذكر ذلك صاحب المطول ص ١٦٠.

(٣) علم الفقه كما في المطول ١٦١.

(٤) يعني سليمان كما في المطول ص ١٦١.

وعين للخدمة المذكورة الأمير قاسم أمير جدة المذكور سابقاً، فأجمع رأي الجميع أن اللائق لبناء هذه المدارس الجانب الجنوبي(١) من المسجد الحرام المتصل به ركن المسجد إلى باب الزيادة، وكان به البيمارستان المنصوري والمدرسة الكيبانية.

قال شيخنا : وكانت بيده عدة دور لمولانا الشريف صاحب مكة فاستبدل ما كان وقفاً. وأما البيوت المتعلقة بمولانا الشريف صاحب مكة فقدمها للسطان، وشرع الأمير قاسم في هدمها وحفر الأساس، وحضر جميع العلماء والصلحاء وقاضى مكة وشيخ الحرم ووضعوا الأساس وذلك لليلتين خلتا من رجب المرجب سنة اثنتين وسبعين وتسعمائة.

واستمر قاسم بك في بذل الجهد والاجتهاد إلى أن تم بناء المدارس في غاية الأحكام، وعمل بها مأذنة عالية أحسن فيها، وصارت الأحكام تتوارد على قاسم بك بالاستعجال.

وعين المرحوم السلطان سليمان خان وظائف المدرسين والطلبة، وغير ذلك من أوقافه بالشام، وعين لكل مدرس خمسين عثمانياً(٢) وللمعيد أربعة عثمانية(٣) ولكل مدرس خمسة عشر طالباً لكل طالب عثمانيين، وللفراش كذلك والبواب نصفه، ولم تكمل المدارس(٤) الأربع إلا في أيام دولة ولده السلطان سليم خان بن سليمان خان عليهما الرحمة والرضوان، فأنعم بالمدرسة المالكية على القاضى حسين بن أبي بكر شيخ الحرم سابقاً، وأنعم بالمدرسة الحنفية على مؤلف هذا الكتاب(٥).

---

(١) كذا في المطول أيضا ص ١٦١ وفي الطبعة الأوربية أيضاً والصحيح الجانب الشمالي.

(٢) النقود العثمانية هذه يحسبها الشيخ حسين باسلامه رحمه الله أقساما فضية راجع ص ٨١ من كتابه (تاريخ عمارة المسجد الحرام).

(٣) في المطول ص ١٦٢ (وعين للمعيد أربعة عثماني في كل يوم).

(٤) ينظر: مدارس مكة المكرمة، للمرحوم الدكتور ناجي معروف، والعقد الثمين ١٧/١:(ج)

(٥) يعني مؤلف المطول قطب الدين النهروالي.

أقول: «هو شيخنا العلامة قطب الدين واستمرت معه من سنة خمس وسبعين وتسعمائة إلى أن مات رحمه الله تعالى في سنة تسعين وتسعمائة فاتفق رأي قاضي مكة وهو يومئذ حسن بن محمد أخو إدريس باشا وشيخ الحرم وهو ميرزا شلبي، وعلماء البلدان على أن الفقير راقم هذه الأحرف أحق بالمدرسة المذكورة، فعرضوا ذلك على مولانا وسيدنا السيد الشريف صاحب مكة، فاستصوب ذلك واستحسنه، وكتب أيضاً إلى الباب العالي، وكتب قاضي مكة وشيخ الحرم بذلك، وأرسلت العروض إلى الباب العالي، فأنعمت السلطنة الشريفة بالمدرسة على العبد، فلما بلغ جيوي زاده سعى فيها وأخذها لشخص من ملازميه يسمى خير الدين، فعرض شريف مكة وقاضيها في ذلك، فأنعمت بها السلطنة ثانيا على الفقير، فأخذت جيوي زاده العصبية، ودولب في ذلك، وتكلم مع حضرة الخواجه سعدي أفندي، فأعيدت لخير الدين أفندى المذكور، وهي معه إلى الآن.

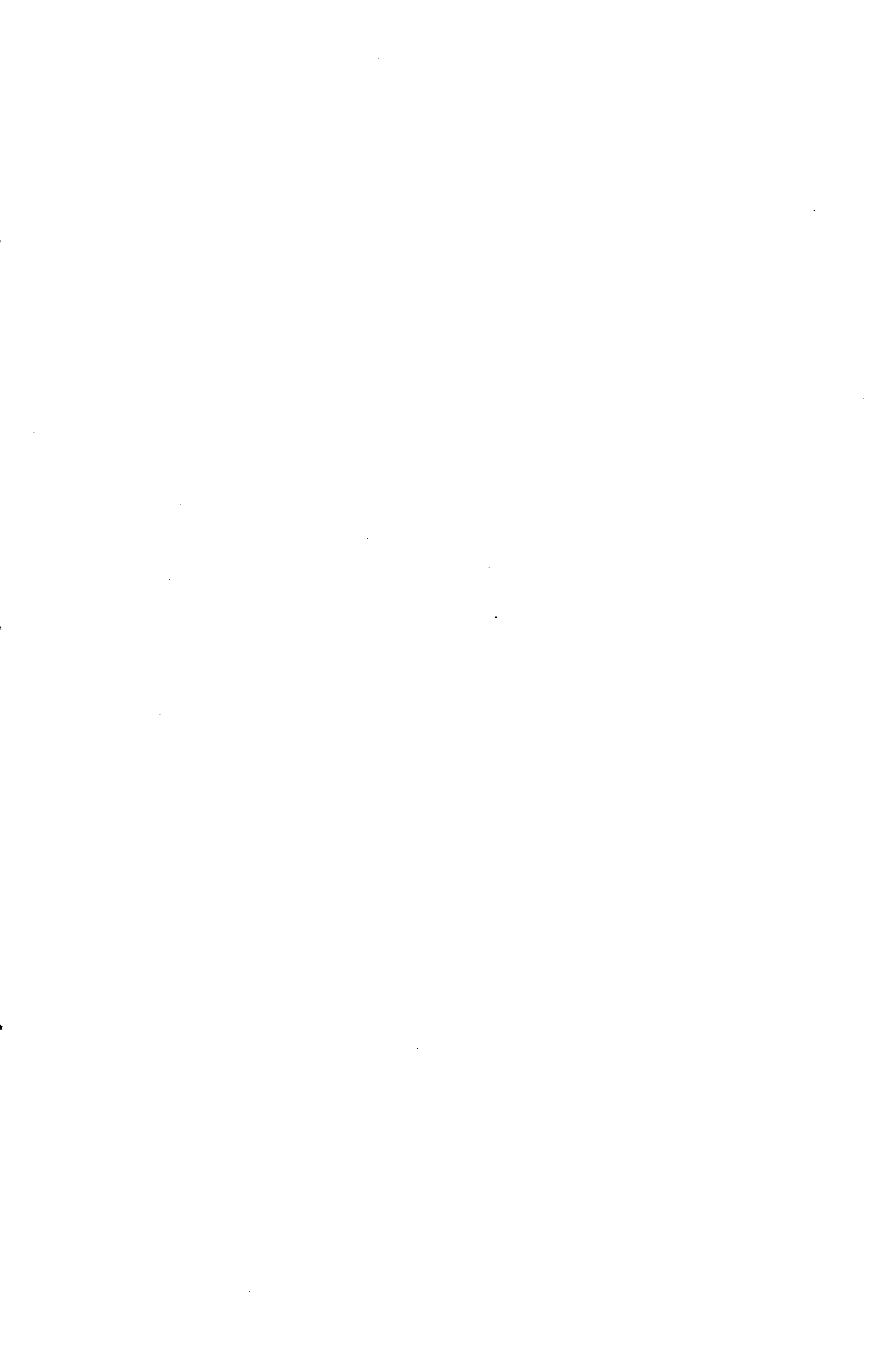
وأنعمت السلطنة بالمدرسة الشافعية لشيخنا عبد العزيز الزمزمي. ولما توفي أعطيت للشيخ عطية، ثم توفي فأعطيت للسيد مير بادشاه، وهو حنفي المذهب، واستمرت بيده إلى أن مات، ثم أعطيت لولده صاحبنا السيد عبد الله. وأما المدرسة الحنبلية فما وجد بمكة من الحنابلة من يصلح لها، فعملت دار حديث وأعطيت لصاحبنا معين خان ابن آصف خان صهر القاضي حسين، واستمرت معه إلى أن أخذها منه الملا علاء الدين البرسوي. وأما المدرسة المالكية التي كانت بيد القاضي حسين، فعرض فيها مولانا المذكور عبد الباقي لما كان قاضياً بمكة وضمها إلى القضاة من ذلك الزمان، فصارت الآن الأربع المدارس كلها حنفية(١)».

---

(١) مابين القوسين من كلام المختصر،أما صاحب المطول فلم يسم من أسندت إليه المدرسة الشافعية.

الباب التاسع

فيما للمرحوم السلطان سليم خان .. تغمده الله بالرحمة والرضوان من المآثر الحسان إلى يوم الحشر والميزان



فنها أنه في أول جلوسه على سرير الملك تفقد أهل الحرمين الشريفين وسأل عن الحب الذى يصل لأهل مكة المشرفة من إحسان والده، فقيل له إنه ثلاثة آلاف أردب، فأمر هو أيضاً أن يرسل لأهل مكة ثلاثة آلاف أردب من الأنبار الخاص، فجهزت وفرقت على أهل مكة، وأيضا أمر بخمسمائة أردب تكون بجدة للفقراء المنقطعين العاجزين(١) «فما كان من الثلاثة آلاف فهي مستمرة إلى الآن، وما كان من الخمسمائة أردب فقد انقطعت، وسبب انقطاعها أنه كان وقع من قضاة مكة المشرفة وشيخ القضاة حسين بن أبى بكر الحسيني في تفرقتها مخاصمة في أنه من يفرقها، فأدى ذلك إلى أن عرض إلى صاحب مصر وقال له: إنها لا تصل للمستحقين فقطعت، ولقد كان يحصل بها رفق تام ونفع عام(٢)».

ومنها أنه كان يتصدق على فقراء الحرمين قبل سلطنته، فكانت يرسل ثمانمائة دينار(٣) يوزع على فقراء مكة خاصة، وذلك غير ما كان يرسله للعلماء والصلحاء بمكة المشرفة من الأصراف الخاصة، وذلك باق إلى الآن(٤)، تقبل الله تعالى منه ذلك.

---

(١) (عن التوجه إلى مكة لأداء حج الفرض...الخ) المطول ص١٧٨.

(٢) لم نجد ماوضعناه بين القوسين في نسخة المطول التي بين أيدينا ولعلها من كلام المختصر.

(٣) في المطول ص ١٧٩(الف دينار).

(٤) أى إلى زمن المصنف أو المختصر

ومنها ما وقع في أيامه من تعمير المسجد الحرام. وسبب ذلك أن الرواق الشرقي مال إلى نحو الكعبة الشريفة بحيث برزت رؤوس خشب السقف الثالث منه عن محل تركيبها في جدر المسجد، وهو جدار مدرسة السلطان قايتباي. وجدار مدرسة الأفضلية التى هي الآن من أوقاف المرحوم ابن عباد الله(١). وفارق خشب السقف عن موضع تركيبه في الجدار المذكور أكثر من ذراع ومال وجه الرواق إلى صحن المسجد ميلاً ظاهراً، وصار نظار الحرم الشريف يصلحون ذلك إما بتبديل خشب السقف ونحوه وترّسوا الرواق الذى ظهر ميله بأخشاب كبار حفروا لها في المسجد، تمسكه عن السقوط.

واستمر الرواق الشرقي متماسكاً على هذا الأسلوب من أواخر دولة المرحوم السلطان سليمان خان وصدراً من دولة المرحوم سليم خان، ثم لما فحش ميلان الرواق المذكور عرض ذلك على الباب العالي في سنة تسع وسبعين وتسعمائة فبرز الأمر الشريف بالمبادرة إلى بناء المسجد جميعه وأن يجعل عرض السقف قببا دائرة بأروقة المسجد الحرام ليؤمن التآكل فإن خشب السقف كان متآكلا من جانب طرفيه لطول العمد وكان يحتاج بعض السقف إلى تبديل خشبه بخشب آخر في كل وقت قليل إذ لا بقاء للخشب زماناً طويلاً مع تكسر بعضه وكان له سقفان بين كل سقف نحو ذراعين بذراع العمل، وصار مابين السقفين مأوى الحيات والطيور فكان من حسن الرأي تبديلها بالقبب لتمكنها ووصلت الأحكام السلطانية إلى الباشا في مصر أن يعين لهذه العمارة من أمراء مصر من يراه يصلح لذلك، فاختار الأمير أحمد بك وأضيفت إليه سنجقية جدة فتأهب لذلك ووصل إلى مكة المشرفة في أواخر سنة تسع وسبعين وتسعمائة وشرع في هدم الأروقة من جهة باب السلام وكان ابتداء الهدم في منتصف ربيع الأول سنة ثمانين وتسعمائة واستمروا في هذا العمل إلى أن نظفوا وجه الأرض من ذلك من

(١) عبارة الأصل(وبيتي ابن عباد الله) والتصحيح من المطول ص ١٧٩ وقول الشيخ حسين باسلامه رحمه الله عن موضع المدرسة الأفضلية أنها تقع بين باب العباس، وباب النبى. راجع ص ٨٢ من كتابه تاريخ عمارة المسجد الحرام.

باب السلام وهو الجانب الشرقي(١)، ثم كشفوا عن أساسه فوجدوه مختلا فأخرجوا الأساس جميعه وكان الجدران على وجه الأرض فأعيد تركيب الأسطوانات على تلك القاعدة فشرع أولا في وضع الأساس بوجه الإحكام والإتقان(٢) لستٍ مضين من جمادى الأولى سنة ثمانين وتسعمائة، واجتمعت الأشراف والعلماء والأمراء والفقراء والمشايخ ووضعوا الأساس وقرأوا الفاتحة وكانت الأساطين المبنية(٣) سابقاً على نسق واحد في جميع الأروقة وظهر لهم أن ذلك الوضع لا يقوى على تركيب القبب عليها لقلة استحكامها أما القبة فيجب أن يكون لها دعائم أربع(٤) قوية تحملها من جوانبها الأربعة فرأوا أن يدخلوا بين أساطين الرخام الأبيض دعامات أخرى مبنية من الحجر الشميسي الأصفر يكون سمكها مقدار سمك أربع أسطوانات من الرخام ليكون كل صف من الأساطين في الأروقة الثلاثة(٥) في غاية الزينة والقوة ففي أولى ركن من الرواق الأول دعامة قوية من الحجر الشميسي ثم أسطوانة رخام أبيض من أساطين الرواق السابق عليها عقد ثم أسطوانة رخام كذلك بينهما وبين التى قبلها عقد آخر ثم أسطوانة رخام كذلك ثم دعامة من الحجر الأصفر الشميسي وعلى هذا المنوال إلى آخر هذا الصف من الرواق ثم الصف الثاني من الرواق الثاني كذلك على هذا المنوال ثم الصف الثالث من الرواق الثالث على هذا المنوال وبقيت القبب على تلك الدعائم والأساطين في دور المسجد جميعه وشرعوا من ركن المسجد الشريف من جهة باب السلام كما تقدم وقاسوا تلك الصفوف بخط(٦) مستو وأزالوا ما كان قبل ذلك من الأزورار

---

(١) أى من باب علي إلى باب السلام.

(٢) في المطول ص ١٨١ (من جانب باب السلام).

(٣) من المطول ص ١٨١.

(٤) في الأصل (أربعة).

(٥) أروقة المسجد أربعة لا ثلاثة.

(٦) في الأصل (بخيط) والتصويب من المطول ص١٨١.

والاعوجاج فكان في إدخال هذه الدعامات الصفر مابين الأساطين الرخام الأبيض حكمة أخرى غير الاستحكام والزينة وهي أن أساطين الرخام الباقية في المسجد ما كانت تفي لجوانبه الأربعة(١) لأن الجانب الغربي منه احترقت أساطينه الرخام وسقفه كما تقدم ذكره في دولة الجراكسة وبادخال هذه الدعامات الصفر الشميسي صارت الأساطين كلها نسبة واحدة وهي أن كل ثلاثة أساطين رخام رابعها دعامة من الشميسي وعلاها عن الأول فصارت القبب أعلى من السقف وألطف وأظرف.

واستمر الأمير أحمد مشمر الذيل ساعيا في ذلك بالجد التام واقفا بنفسه على المعلمين كأنه واحد من جملة الخدام فلما أكمل جانبين من المسجد الحرام وهما الشرقي والشمالي وصل الخبر بانتقال السلطان سليم خان إلى دار النعيم رحمه الله تعالى وطيب ثراه وأحسن في الآخرة مثواه. وذلك لسبع مضين من شهر رمضان سنة ٩٨٢هـ.

(١) في الأصل (الأربع).

الباب العاشر

فيما للسلطان مراد خان بن سليم خان من المآثر الحسان



فمن أول محاسنه التفاته للحرم الشريف، والأمر بإتمام بنائه على أحسن وجه لطيف وأسلوب طريف فبادر الأمير أحمد إلى إتمام ذلك وسعى فيها أحسن المسالك وشرع في بناء الجانب الغربي، والجانب الجنوبي بجميع شرفاته وأبوابه ودرجه من داخل المسجد الحرام وخارجه إلى أن كمل على هذا الوجه الجميل والبناء المشيد وكان ذلك في أواخر سنة أربع وثمانين وتسعمائة وصار المسجد الحرام نزهة للناظر سنة ٩٨٤هـ وبغية للخاطر وجلاء للنواظر بحيث ما عمره الخلفاء العباسيون لا يحسن أن يذكر عنده و يوصف لأن هذا البناء أمكن وأزين وأعلى وأشرف فكان الآن أعلى من أرم ذات العماد التى لم يخلق مثلها في البلاد بعقود عالية كأطواق الذهب في الأجياد وقبب سامية كقباب الأفلاك الشداد وشرافات شريفة مشرفة على الوهاد والمهاد مبني ذلك بالرخام الأبيض والمرمر والحجر الشميسي الأصفر كأنها سبك الذهب أو سبك العسجد أو الجوهر «مكتوب على كل مرمرة بالقلم الجلي المحفور المثبت، بعضها (الله) وفي بعضها (محمد) و بعضها (أبو بكر) و (عثمان) و (علي) وفي كل عمود من الرخام شمسية مكتوب فيها الله(١)».

---

(١) مابين القوسين لم نجده في موضعه من المطول في النسخة التي بين أيدينا. قال صاحب تاريخ عمارة المسجد الحرام ص ١٠٩(وقد كتب بالخط الجميل البارز نقراً على كل أسطوانة رخام بين كل طارتين من العقود لفظة الجلالة(الله) وكتب في صدر كل عمود من العمد الثخينة المثمنة(محمد صلى الله عليه وسلم) على عمود واحد وعلى آخر(أبو بكر) وعلى آخر(عمر) وعلى آخر(عثمان) وعلى آخر(علي) وهكذا سائر العمد الثخينة المثمنة المطلة على حصوة المسجد الحرام من جهاته الأربع.

وعلى أبواب المسجد الحرام وصدور الأروقة آيات الكتاب والاسم السلطاني المستطاب على كل موضع مما يناسبه من الآيات، واخترع الفضلاء لذلك تواريخ عديدة بكل لسان نظماً ونثرا، فأحسنها ما وصل ومعه حكم شريف سلطاني يتضمن الأمر بكتابته على بعض أبواب المسجد الحرام (وكانت قد كتبت)(١) فامتثل الأمر الشريف وكتب هذا التاريخ البديع اللطيف على طراز باب سيدنا العباس إلى باب علي رضي الله عنهما في الجانب الشرقي من المسجد الحرام، ونقر له في الحجر الأصفرالشميسي وطلي بالذهب، ليقرأه كل من إلى المسعى ذهب، وهو هذا: «الحمد لله الذى أسس بنيان الدين المتين نبي الرحمة والإرشاد، وخصه بمزيد الفضل والبركة والكرامة والإسعاد، وجعل حرم مكة مطافا لطوائف الطائفين الحاجين من أقاصى الممالك والبلاد. وصلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الأجلة الأمجاد، ووفق عبده المعتاد بإحكام أحكام الشريعة وتشييد أركانها على الوجه المراد، المدخر ذخر الآخرة المستديمة من زاد المعاد (أدام الله(١)ظله الممدود على مفارق العباد، السلطان ابن السلطان ابن السلطان، السلطان مراد، جعل الله الخلافة فيه وفي عقبه إلى يوم التناد، ولتجديد معالم المسجد العظمى، لا زال للحرمين المحترمين خادما، ولأساس الجور والاعتساف هادماً، بتجديد حرم بيت الله عز وجل (بأمره المعزز)(٢) المبجل، وعمر عامر جوده ماتضعضع من أركانه بعد ماكاد ينقض عوالى جدرانه، فجدد جدران البيت العتيق، وسوره بأكمل زينة. وأجمل صورة، بعدما أبلاها الجديدان، وأكل عيدان سقفها الأرضة والديدان، فوضع القباب موضع السطوح المبنية بالأخشاب، وابتهج بهذه الحسنة الكبرى كل شيخ

(١) استدركت من المطول ص ١٨٨.

(٢) هذه الجملة لاتوجد في المطول ومعناها غير واضح والظاهر أنه يقصد أن الامر السلطاني كاد أن يكتب هذا التاريخ على نفس أبواب الحرم الشريف والحال أن هذه الأبواب كانت قد كتبت عليها قبل ورود هذا الأمر آيات قرآنية كما هو المشاهد الآن فبناء عليه كتب هذا التاريخ على طراز المسجد من باب العباس إلى باب علي.

وشاب، فأذعنوا له بالشرف الباهر، والمجد الفاخر، تالين قوله تعالى: إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر (داعين له من الله الجميل والذخر المذخر)(١)، اللهم أدمه في سرير الخلافة محروساً بحفظك من كل آفة، وظافراً على من يريد خلافه، مشيداً للمساجد والمدارس، مجدداً لكل خير منهم ودارس، واجعل بابه للراجين حرماً آمناً، وجنابه للمحتاجين كفيلاً ضامناً، يأتون إليه من كل فج عميق، بحرمة البيت العتيق، تقبل الله معطى السول، بجاه الرسول(٢) هذا الدعاء الحري بالقبول.

فلما أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان جاء مشيد الأركان، حاكياً روضات الجنان، وصار هذا عنوان خلافته، وبراعة استهلال منشور سعادته في أوائل سنة أربع وثمانين وتسعمائة هجرية.

وكان الابتداء بذلك التجديد بأمر والده الماجد، الدارج مدارج الملك المجيد السلطان السعيد «يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم» السلطان سليم بن السلطان سليمان بن السلطان بايزيد بن السلطان محمد بن السلطان يلدرم بايزيد بن السلطان مراد خان بن السلطان أورخان بن السلطان عثمان، مكنهم الله تعالى على سرر في دار الجنان، وأيد خلافتهم في مسند الخلافة إلى انقراض الزمان وكان الشروع في الرابع عشر من ربيع الأول سنة ثمانين، فلما سلم السلطان سليم وديعته بأحسن تسليم، وارتحل من دار العصور إلى ماهيأ الله له في الجنة من القصور، قبل تمام مايرام من تجديد المسجد الحرام وأجلس على سرير الخلافة نجله النجيب أحسن إجلاس من جعل حرمه مثابة للناس يسر الله له الإتمام، بطلعة إقبال وجوه الليالي والأيام وأنام الأنام في مهد عدله إلى قيام الساعة وساعة القيام.

---

(١) في الأصل (بأمر الوزير المبجل) والتصويب من المطول ص ١٨٨.

(٢) من المطول ص ١٨٨.

ونظم راقم هذه الأرقام تاريخاً يليق أن يكتب في هذا المقام، وهو هذا:

جدّد السلطان مراد بن سليم   مسجد البيت العتيق المحترم
سرّ منه المسلمون كلهم   دام منصور(١) اللواء والعلم
قال روح القدس في تاريخه   عمر السلطان مراد الحرم

انتهى التاريخ الوارد من الباب العالى(٢).

ومن جملة تعمير الحرم الشريف حفر خارج المسجد الحرام من الجانب الجنوبي الذى هو مجرى السيل الآن، فإن الأرض علت وامتلأ المسيل كله إلى أسفل مكة بالتراب إلى أن لم يبق للدخول إلى المسجد من الأبواب التي في تلك الجهة إلا نحو ثلاث درجات، بعد أن كانت خمس عشرة درجة، يصعد منها إلى أن يدخل من الباب إلى المسجد، وكان هذا السيل(٣) يقطع ويحمل ترابه إلى خارج البلد من جهة المسفلة في كل عشرة أعوام مرة فغفل عنه نحو ثلاثين سنة، فعلت الأرض وصارت السيول كلما جاءت تدخل المسجد الحرام وتملؤه بالطين والوحل حتى أنه في سنة ثلاث وثمانين وتسعمائة دخلت السيول ووصلت إلى قفل الكعبة الشريفة(٤)، وتعطلت الجماعة في المسجد سبعة فروض إلى أن نظف المطاف وأقيمت فيه الصلاة. وأما باقي المسجد فاستمر مدة، فقطع الأمير أحمد(٥) السيل ونظفه، وفرش المسجد الحرام بالحصا، وكذلك حفر السيل وادي قعيقعان والفلق، وهو من جهة باب زيادة في الجانب الشمالي وصار

---

(١) هذه من الادعية المبتدعة التي لم ترد عن السلف الصالح.
(٢) في المطول ص ١٨٩(دام منشور..)
(٣) هذا التاريخ لايزال باقيا الى الآن.
(٤) يقصد مجراه.
(٥) عبارة المطول تدل على أن الماء قريب من القفل فقط.

إذا سال سيل وادي قعيقعان دخل الكعبة(٣) وجرى فيها إلى أن يخرج من قرب باب إبراهيم، وصارت السيول بعد ذلك تسيل وتتعدى من الجهة الشامية والجانب الجنوبي ولا تدخل المسجد الحرام.

أقول: والآن قد اعتلت الأرض من الجانبين المذكورين وصارت تحتاج إلى القطع والتنظيف. جزى الله تعالى خيراً من سعى في ذلك(٤).

قال شيخنا رحمه الله تعالى: وقد سألت الأمير أحمد المذكور عن مقدار ماصرف على بناء المسجد جميعه فقال لى مئة ألف دينار وعشرة آلاف دينار ذهباً، وذلك غير ثمن الأخشاب المحمولة من مصر إلى مكة المشرفة، وغير ثمن الحديد وأدوات العمارات، وغير أهلة القبب التي عملت بمصر من النحاس، وطليت بالذهب، وركبت على القبب، فصار لها منظر حسن وزينة عظيمة كأنها صفوف واقفة بالأساكف(١) من الذهب بغاية السكون والأدب حول بيت الله تعالى، زاده الله تعالى عظمة ومهابة وإجلالا.

ومن مآثره(٢) أنه لما جلس على التخت سأل عن مقدار مايصل لأهل مكة من صدقة والده وجده من القمح، فقيل له ثلاثة آلاف من والدك وثلاثة آلاف من جدك. فقال: اجعلوا من جانبي ثلاثة آلاف أيضاً، فأرسلت ألف واحدة وقررت للمستحقين وتضاعف في صحائفه الشريفة.

---

(٤) (احمد بك أمير العمارة)المطول ص ١٨٩.

(٥) مدخله باق إلى الآن، إلى جوار باب الزيادة إلى يمين الداخل إلى المسجد الحرام.

(٦) ثم اتخذت ترتيبات لمنع دخول السيل الى المسجد الحرام من الجانب الجنوبي، بعد حدوث سيل عام ١٣٦٠هـ الذى دخل المسجد الحرام، وغطى حائط حجر اسمعيل. وقرب من باب الكعبة، وجعل المسجد كالبحيرة، وذلك بان عملت قطع خشبية تركب عند اللزوم أمام الأبواب، فتكون كسور مانع من دخول المياه. ولما كانت العمارة الجديدة الأخيرة ذات الطابقين، عملت للسيول مجار من تحت المسجد الحرام.

(١) كذا أيضا في المطول ص ١٩٠ ولم نقف على معناها فيما لدينا من مراجع.

(٢) من هنا إلى الفصل التالى إضافات من المختصر.

ومنها أن شاه زاده(١) كان يرسل صدقة إليّ وهي ثمانمائة دينار ذهباً، فأمر بإرسالها كل عام من خزانة بالشام.

ومنها أن الجانب الجنوبي كان به بيوت ومدارس من أول الرواق إلى آخره، وهو باب حزورة، وكانت تضيق على السيل وتفيح رائحة المطامير(٢) على المصلين بالمسجد الحرام، فأمر بتلك البيوت والمدارس فهدمت وصار ذلك المحل موحشا غير مبني، فعرض عليه، فأرسل لعمارته من جاوشية بابه العالي مصطفى جاويش، فوصل إلى مكة المكرمة في سنة أربع وتسعين وتسعمائة، وعمر ذلك من أوله إلى آخره طواجن(٣) وجعلها مأوى للفقراء، حتى لايبيتون في المسجد، وعمل حنفية تحته للوضوء وحنفية أخرى في لصق جدر مدرسة قايتباي من جانب السوق بالقرب من باب السلام الصغير. ومن أبلغ ما عمل للسبيل من التواريخ هذا النظم:

أنا سبيل أشاد مجدى	سلطان كل الورى مراد
فاق على قيصر وكسرى	بعدله قرّت البلاد
مدّ على الخلق فيض برّ	فعاش في فضله العباد
بنى بباب الصفا سبيلاً	للوفد في وردة ارتياد
صار به للإله جاراً	وجاره الدهر لا يكاد
له من الله سلسبيل	وكوثر ما له نفاد
جاء بلا غاية لمجد	تاريخ بنيانه المشاد
أسّسنى بالصفا سبيلاً	لله سلطاننا مراد

(١) شاه زاده كلمة فارسية معناها ولد الملك أى الأمير.

(٢) المطمورة: الحفيرة تحت الأرض.

(٣) الطواجن: قباب لارؤوس لها من الخارج.

وكانت عمارته في سنة خمس وتسعين وتسعمائة، و «(أصرف» على هذا المحل والسبيل نحو عشرين ألف ذهباً(١).

ومن إحسانه الجراية الخاصة التي يرسلها كل عام من الأنبار الخاص، وهي نحو خمسة آلاف أردب مكتوبة باسم جماعة من الأمراء والكبراء والفقهاء و «(المشدين(٢))» وأرباب الخدم بالمسجد الشريف.

ومنها أنه لم يكن بمكة المشرفة مفتٍ(٣) بعلومه، فعرض لهذا الفقير راقم هذه العجالة، فأنعم عليه بافتاء مكة المشرفة، وجعل له في ذلك من بيت المال خمسين عثمانيا كل يوم.

ومنها أن الخطباء بمكة المشرفة وإمام الحنفي كان لكل واحد منهم عثماني(٤) ونصف عثماني، فجعلهم أربعة خطباء اثنين حنفيين واثنين شافعيين لكل واحد منهم أربعون عثمانياً كل يوم، ومن جملتهم هذا الفقير راقم هذه الأحرف، وكذلك جعل لإمامين حنفيين فصاروا يدعون له من غير اختيار فانه بدل عسرهم باليسر، وضيقهم بالفرج. وكذلك الأئمة الشافعية وهم نحو أحد عشر نفساً، وكان لكل واحد عثماني ونصف، فجعل لكل واحد منهم خمسة عثامنة كل يوم.

---

(١) ذكر الشيخ باسلامه رحمه الله في كتابه(تاريخ عمارة المسجد الحرام) مصير حنفية الصفا وباب قايتباى فقال في ص ٩٧: (أما الحنفية التي كانت بالصفا، وغيرها من الحنفيات الأخرى التى كانت خلف هذه المدارس ــ مدارس الجهة الجنوبية ــ على مسيل وادي ابراهيم، فقد هدمت وأزيلت سنة ١٣١٥هـ وذلك بسبب كون الذين كانوا يتوضؤون منها يلوثون أبواب المسجد الحرام بالوحل الذى يتراكم من فضلات المياه المتراكمة من الوضوء).

ونضيف أننا قد عرفنا بعض حنفيات بقرب باب أم هانيء، وباب الوداع لا تستعمل وقد أزيلت هذا عام ١٣٦٦هـ إذ كانت الى جانب عدم الاستفادة منها تضيق الشارع العام.

(٢) لم نجد له أصلا فيا لدينا من كتب اللغة، إلا أن المشدي في اصطلاح الأعمال رئيس العمال أو ملاحظهم.

(٣) في الأصل حفت.

(٤) عثماني: عملة كانت معروفة في زمن المؤلف(ج).

ومن ذلك الرومية الجديدة التي أرسلها في موسم سنة ٩٩٧هـ وهي لأهل مكة المشرفة نحو ثلاثة آلاف ذهباً، وفي موسم سنة ٩٩٧هـ أرسلها على يد إبراهيم أفندى المنفصل من(١) (دفتر دارية) اسطنبول وهي نحو عشرة آلاف ذهباً، وأرسل معه خلعة سنية لصاحب مكة وشريفها، وخلعة لقاضي مكة وشيخ حرمها ولهذا العبد الفقير الداعي بصوفين من أصوافه الخاصة ومائة دينار خارجاً عن دفتر الصر وحكم شريف سلطاني، واستمر ذلك إلى الآن فجزاه الله تعالى خيراً عن الإسلام والمسلمين، وقررت هذه الدراهم في دفتر على المستحقين وصارت تعرف بالرومية الجديدة، فإن الرومية تصل من مصر، وذلك غير مازيد من أوقاف الشام وهو نحو ثلاثة آلاف دينار.

ومن مآثره الربعة الشريفة التي تقرأ كل يوم قبالة الميزاب الشريف بعد صلاة الصبح جعل لكل نفر ثلاثة عثامنة كل يوم، فهم يجتمعون ويقروءونها ويدعون له بدوام دولته فإن خيراته بالمدينة المنورة قدر ما لمكة المشرفةثلاث أو أربع(٢) مرات، وأن أهل مكة محتاجون من يعرض حالهم على هذا السلطان المحسن المتصدق الذى ما دل قط على خير إلا وقبله وفعله، ومن أهم المهمات أن يكون له أربع مدارس كما لجدّه المرحوم المقدس(٣) وأن يعمل بمكة المشرفة مكتبة(٤) كما فعل بالمدينة المنورة على الحال بها أفضل الصلاة والسلام وأنا أسأل من فضل من طالع هذا المختصر من العلماء الأعلام والكبراء الفخام أن يسعى في ذلك لجيران بيت الله الحرام، فإنهم محتاجون لهذا الإنعام.

---

(١) الدفتردارية: نسبة الي الدفتردار، وهي مهنة مالية في الدولة العثمانية، تقابل اليوم: مدير الحسابات (المالية). (ج)

(٢) العبارة في الأصل (ثلاث اربعة).

(٣) هذه من تعابير ذلك العصر.

(٤) تمنيات من المختصر رحمه الله تدل على حبه للعلم والاصلاح.

ومما تجدد بعد كتابة هذه العجالة أن جعل البيت الكبير الذى بالصفا مدرسةً يدرس فيها العلوم الشرعية، وجعل للمدرس خمسون عثمانياً وللمعيد خمسة عثامنة ولكل واحد من (الدانشنا)(١) وهم عشرون نفساً ثلاثة عثامنة، وللبواب والفراش والكناس خمسة عثامنة وأنعم بهذه المدرسة على هذا الحقير وشرع يدرس فيها الفقه والحديث وشرعت أكتب شرحاً كافياً شافياً إن شاء الله تعالى على صحيح البخاري.

ثم إن أمين البناء مصطفى جاويش أنهى إلى سرر السلطنة الشريفة أن البيوت المذكورة(٢) ما عمرت إلاّ أن تكون أجرتها مصروفة على السبيل الذى بناه على يسار الخارج من المسجد إلى الصفا، وعلى فراشين لكنس المحل الذى بناه مصطفى جاويش خارج المسجد للفقراء، فكتبت وقفية بذلك، فعرض سيدنا ومولانا السيد الشريف حسن بن أبي نمي بن بركات إلى الباب العالي وإلى ناظر الحرمين الشريفين بالباب السالك أحسن مسالك الصواب مصطفى أغا الملقب بقزلر أغاسى وناظر الحرمين في ذلك، فعرض ذلك على حضرة السلطان فأبقى البيت الكبير مدرسة على حاله، وأمر أن يحمل من مال أوقافه بمصر في كل سنة ستمائة دينار، فصرف على المدرس وطلبته ما قرر لهم، والباقى عوض كراء البيت الذى أبقاه مدرسة جزاه الله خيراً.

ومنها أنه ورد في موسم سنة ألف فخر الصلحاء المكرمين الشيخ نور الدين علي بن الخلوتي بأمر شريف سلطاني يتضمن أن سقف مقام إبراهيم الخليل قد أكلته الأرضة، وأن المتعين تعميره جميعه، وأنه إذا لم يغير سقط(٣) فغير جميعه بخشب الساج بشغل مكلف، صنع أحسن من الأول، فشرع في العمل المذكور في جمادى الأولى سنة واحدة بعد الألف وتم العمل في السنة المذكورة.

(١) لفظ فارسي معناه: (العاقل وطالب العلم).

(٢) لم تسبق الاشارة إلي هذه الدور، ولعله يقصد دوراً من بينها الدار التى اتخذت مدرسة.

(٣) في الأصل والا فسقط.

فصـــــل

فيما اشتمل عليه المسجد الحرام الآن من الأساطين الرخام والأساطين الصفر الشميسي والقبب والطواحن والمصليات وشرايف المسجد الحرام.

أمـا الأسـطوانـات الرخام فعدتها ثلثمائة أسطوانة وإحدى عشرة أسطوانة، منهـا فـي شرقـي المسـجـد، وهـو مـا يـقابل الحجر والباب اثنتان وستون(١) أسـطوانـة رخـامـاً، وفـي غـربـيـه وهـو مـايقابل المستجار المعظم أربع وستون أسطوانة، منها ست من الحجر الصوان والباقى من الرخام وفي شاميه وهو ما يـقـابـل الحـجـر والمـيـزاب إحدى وثمانون أسطوانة رخاماً وفي جنوبه وهو ما يـقـابـل الـركـنين ثـلاث وثـمـانون(٢) أسطوانة، منها إحدى عشرة من الحجر الصوان والباقى من الرخام، وفي زيادة دار الندوة خمس عشرة أسطوانة، من ذلك واحدة من الحجر الصوان، وفي زيادة باب إبراهيم ست أسطوانات من الرخام.

وأمـا الأسـطوانـات الـشـمـيـسـي الـصـفر فجملتها مائتان وأربع وأربعون أسـطـوانـة، وهـي عـبـارة عـن شـكـل مثمن أو مسدس أو مربع على حسب مـااقـتـضـاه الـمـكـان، وهـي في طول الأسطوانة العليا مقدار الثلث من الحجر الـصـوان الـمـنـحـوت وثلثاه الأعلى من الحجر الشميسي المنحوت فمن ذلك في جـهـة شـرقي المسجد ثلاثون أسطوانة وفي شاميه أربع وأربعون أسطوانة وفي غـربـيـه سـت وثـلاثـون أسـطـوانـة، وفـي جـنـوبـيـه ست وأربعون أسطوانة.

---

(١) فـي الأصل(احـدى وثـمـانـون) والـتـصـحيح من المطول ص ١٩٢ ويؤيده صاحب تاريخ عـمـارة المسجد الحرام. وينظر العقد الثمين ١/٨٧ وفيه ذكر عدد الأساطين في عهد مؤلفه، وعددها: أربعمائة وتسعة وستون.(ج)

(٢) في إحصاء صاحب كتاب تاريخ عمارة المسجد الحرام أنها(٩٠) أسطوانة من الرخام.

وأربع(١) في أركان المسجد الحرام، وفي زيادة دار الندوة ست وثلاثون، وفي زيادة باب إبراهيم ثماني عشرة.

وأما القبب فعددها مائة واثنتان وخمسون قبة، فن ذلك في شرقي المسجد الحرام أربع وعشرون قبة، وفي الجانب الشامى ست وثلاثون قبة، وفي الجانب الغربي أربع وعشرون قبة، وفي الجنوبي ست وثلاثون قبة وواحدة في ركن المسجد الحرام من جهة منارة الحزورة، وفي زيادة دار الندوة ست عشرة قبة، وفي زيادة باب إبراهيم خمس عشرة قبة.

وأما الطواجن(٢) فجملتها مائتان واثنان وثلاثون طاجنا، فمنها في الجانب الشرقي ثمانية وثلاثون طاجناً، وفي الجانب الشامي تسعة وخمسون طاجناً، وفي الجانب الغربي ثلاثة وأربعون طاجنا، وفي الجانب الجنوبي أربعة وستون طاجنا وطاجنان تحت مأذنة باب السلام (وواحد في ركن المسجد الحرام من جهة باب السلام)(٣) وواحد في ركن المسجد.

وأما المصليات فجملتها ستة وخمسون مصلى(٤) فنها مافي جهة شرقي المسجد ثلاثة وفي شاميه اثنان وعشرون وفي غربيه ستة عشر، وفي جنوبيه خمسة عشر.

---

(١) استدركت من المطول ص ١٩٢.

(٢) قباب تبدو كالطواجن لارؤوس لها.

(٣) زيدت من المطول طبعة أوربا ص ٢٢، وبها يكمل العدد.

(٤) في الأصل (مصليا) والصحيح ما أثبتناه وهو ماجاء في المطول ص ١٩٢

وأما شرافات(١) المسجد الحرام، فجملتها ألف وثلاثمائة وثمانون، فمن ذلك في شرقي المسجد الحرام مائة واثنتان وستون شرافة، فمن الرخام سبع وعشرون، في وسطهن واحدة طويلة والباقي من الحجر الشميسي، وفي شاميه ثلثمائة وواحدة وأربعون، فمن الرخام ثمان وسبعون منها ثلاث طوال والباقى من الحجر الشميسي، وفي غربيه مائتان وأربع. فمن الرخام اثنتان وعشرون في وسطهن واحدة طويلة والباقي من الحجر الشميسي، وفي جنوبيه ثلثمائة وخمس وثلاثون. فمن الرخام سبعون وفي وسطهن واحدة طويلة والباقي من الحجر الشميسي وفي زيادة دار الندوة باب إبراهيم مائة وست وأربعون من الحجر الشميسي لا غير(٢).

وأما أبواب المسجد الحرام الآن فعدتها تسعة عشر بابا تفتح على تسعة وثلاثين طاقا في كل طاق درفتان(٣) فيها خوخة تفتح وتغلق الدرفتان، وتفتح الخوخة ليلا لمن يدخل المسجد الحرام ويخرج منه فترد الخوخة كما كانت فمنها بالجانب الشرقي أربعة أبواب:

الأول : باب السلام و يعرف بباب بنى شيبة وهو ثلاث طاقات(٤)، والباب لم يجدد فيه شيء لأنه عامر محكم البناء.

وفي الدرفة اليمنى من الطاق الأوسط خوخة(٥) تغلق الدرفتان، وتفتح الخوخة ليلاً لمن يدخل المسجد الحرام ويخرج منه هكذا جميع الخوخات:

---

(١) تقع في أطراف سطح المسجد من داخله وخارجه

(٢) بحسب هذا التوزيع تنقص شرافة عن المجموع، وقد قابلنا توزيعه بما جاء في المطول فوجدناه مطابقا لما في نسخة أوروبا، أما النسخةالأخرى، فقد سقط منها عدد شرافات الجهة الجنوبية.

(٣) يقصد بالدرفتين مصراعى الباب.

(٤) منافذ أو مداخل.

(٥) جددت هذه الخوخة عام ١٣٦٤هـ وقد أزيلت الأبواب في التوسعة.

الثاني : طاقان، و يعرف بباب الجنائز، و بباب النبي صلى الله عليه وسلم(١) ولم يجدد في هذا الباب غير الشرافات التي عليه وعدتها أربع وعشرون شرافة.

الثالث : ثلاث طاقات و يعرف بباب العباس لمقابلته لدار العباس رضي الله عنه، و يعرف أيضاً بباب الجنائز(٢).

الرابع : ثلاث طاقات، و يعرف بباب علي و باب بنى هاشم، وقد جدد هذا الباب والذى قبله على أحسن وضع وعدد ما عليها من الشرافات مائة وخمس عشرة شرافة.(٣)

و بالجانب الجنوبي سبعة أبواب:

الأول : طاقان و يقال له باب بازان(٤) لأن عين مكة المعروفة ببازان قريبة منه، وقد جدد هذا الباب بأسلوب حسن وعدد ما عليه من الشرافات ست عشرة شرافة.

الثاني : طاقان، و يعرف بباب البغلة ــ بباء موحدة وغين معجمة ــ وقد جدد هذا الباب أيضا ولم يعمل عليه شيء من الشرافات.

الثالث : باب الصفا لأنه يخرج منه من أراد السعي بالصفا والمروة

---

(١) عهدنا اسمه كذلك إلى ما قبل التوسعة الملكية الأخيرة.

(٢) لايعرف على عهدنا إلا بباب العباس.

(٣) كان في الجانب الشرقي باب خامس هو باب«قايتباى» بين باب السلام، و باب النبي، وهو ذو منفذ واحد عمره السلطان أبو النصر قايتباى و يفضي إلى المسعى.

(٤) كان يعرف هذا الباب بباب النساء لإفضائه إلى (الحصوة) المخصصة لهن، أما البازان فهو لعين حنين آنذاك، وعهدناه خلف مركز للشرطة كان قائماً قبل التوسعة يعرف بمركز الصفا.

ويسمى بباب مخزوم(١) وهو خمس طاقات، وقد جدد هذا الباب تجديداً حسنا وعدد شرافاته تسع وعشرون شرافة.

الرابع : طاقان : ويعرف بباب أجياد الصغير وقد جدد وعدد شرافاته تسع عشرة شرافة.

الخامس : طاقان ويعرف بباب الجاهدية، ويقال له باب الرحمة(٢) وقد جدد هذا الباب وعدد شرافاته عشرون.

السادس : طاقان ويعرف بباب مدرسة الشريف عجلان(٣) لاتصاله بها، وقد جدد هذا الباب أيضاً وعدد شرافاته عشرون.

السابع : طاقان ويعرف بباب أم هانىء(٤)وقد جدد أيضا وعدد شرافاته ثلاث عشرة شرافة.

وبالجانب الغربي ثلاثة أبواب:

الأول : طاقان ويعرف بباب الحزورة(٥)، ولم يجدد في هذا الباب شيء أصلا.

الثاني : طاق واحد كبير يقال له: باب إبراهيم ولم يجدد فيه شيء أصلاً لقوة عمارته ولكون قصر الغوري مبنياً عليه.

---

(١) لايعرف على عهدنا إلا بباب الصفا وهو يفضى إلى الصفا.

(٢) كان يعرف على عهدنا بباب أجياد لوقوعه أمام شارع أجياد.

(٣) كان يعرف باب التكية لوقوعه أمام (التكية المصرية).

(٤) كان يطلق عليه أيضا(باب الحيمدية) لوقوعه أمام الحميدية التي كانت(دار الحكومة).

(٥) اسم لسوق كانت في الجاهلية في مكانه، وكان على عهدنا بباب الوداع.

الثالث : طاق واحد و يعرف بباب العمرة لأن المعتمرين من التنعيم يخرجون و يدخلون منه في الغالب، وكان يسمَّى قديماً بباب بنى سهم، وقد جدِّد هذا الباب، وعدد شرافاته ثماني شرافات(١).

و بالجانب الشمالي خمسة أبواب:

الأول : طاق واحد و يعرف بباب السدرة(٢) وكان يقال له قديماً باب عمرو بن العاص وقد جدد هذا الباب أيضاً وعدد شرافاته ست.

الثاني : طاق واحد و يعرف بباب العجلة و باب الباسطية لاتصاله بمدرسة عبد الباسط المتقدم ذكرها(٣) وقد جدد هذا الباب أيضاً، وعدد شرفاته سبع.

الثالث : طاق بزيادة دار الندوة في ركنها الغربي(٤) ولم يجدد هذا الباب أيضاً.

الرابع : ثلاث طاقات بالزيادة المذكورة بجانبها الشامي، وكان هذا الباب قديماً طاقتين إلى أن أمر الأمير قاسم ببناء المدارس السلطانية. ففتح طاقاً ثالثاً ثم هدمت (في زمن الناصر فرج بن برقوق في سنة عشر وثمانمائة وهي باقية إلى الآن)(٥).

---

(١) كانت توجد أيضا في الجانب الغربي أبواب صغيرة من أهمها باب الدوادية.

(٢) كان يسمى باب العتيق.

(٣) كان يعرف بباب الباسطية أيضا على عهدنا.

(٤) يعرف قديما بباب«زيادة دار الندوة»وهو«باب القطبي» ـــ على عهدنا لكونه مجاوراً لمدرسة قطب الدين الحنفي(صاحب المطول) وفي إطلاق اسمه على الباب نوع من التقدير، يدل على مكانته.

(٥) لاتوجد في طبعتي المطول بل العبارة هكذا:(ثم هدمت الطاقات الثلاث عند بناء المسجد الحرام واعتبرت كما كانت وعدد شرافاته اثنتان وعشرون شرافة) و يعرف هذا الباب قديما بباب سويقة وكان يسمى«باب الزيادة» على عهدنا.

الخامس : باب الدريبة(١).

وأما المنائر التى بالمسجد الحرام. فأولها: منارة باب السلام(٢) الملاصقة لمدرسة الشرابية. وثانيها: منارة باب العمرة(٣). وثالثها: منارة باب علي. وأول من عمّرها المهدي العباسي لما عمّر منارة باب السلام واستمرت إلى أن أدركناها وقد آلت إلى الخراب، وكانت بدور واحد في أعلاها فأمر المرحوم السلطان سليمان عليه التحية والروح والريحان فهدمت وأعيدت من الحجر الأصفر الشميسي وجعل لها دوران وغير رأسها على أسلوب منائر الروم(٤).

ورابعها : منارة الحزورة، وهي بدورين، وأول من بناها المهدي العباسي ثم عمرت في زمن الأشرف شعبان بن حسين صاحب الموصل

---

(١) من أبواب هذا الجانب على ماعهدناه في العمارة القديمة « باب الزمامية» بمنفذ واحد، وهو يقع بين باب العتيق وباب الباسطية، ومنها:«باب المحكمة» بين مدرستين من المدارس السليمانية الأربع ، وسمى باب المحكمة لأنه يفضى إلى المحكمة الكبرى الي كانت تقع في إحدى هذه المدارس،ومنها: باب السليمانية وهو أيضا يفضى إلى إحدى المدارس الأربع، ولكل من البابين طريق إلى «سويقة».

(٢) كانت بين باب السلام وباب الدريبة، قال عنها صاحب المطول(عمرها المهدى..العباسي في سنة ١٦٨هـ وهي بدورين، ثم تهدمت في زمن الناصر فرج بن برقوق سنة ٨١٦هـ ثم عمرت) وذكر صاحب تاريخ المسجد الحرام أنه قد جددت عمارتها سنة ٩٨٣هـ بأمر السلطان مراد الثالث.

(٣) قال عنها صاحب المطول ص ١٩٣ (عمرها أبو جعفر المنصور.وعمرها بعده وزير صاحب الموصل محمد الجواد بن علي بن أبي منصور الأصفهاني في سنة ١٥٥هـ وكان رئيس المؤذنين يؤذن بها زمن الفاكهي ويتبعه سائر المؤذنين ثم صار في زمن التقى الفاسي يؤذن..بباب السلام وبعده على قبة زمزم. نقول : كان رئيس المؤذنين يؤذن على قبه زمزم على ما عهدنا وبعد إزالة مبنى قبة زمزم، خصص للمؤذنين مكان خاص في الرواق الجنوبي وقد جددت عمارة باب العمرة عام٩٣١هـ (ثم جددها الشريف سرور وجعل لها دورين في سنة ١٢٠١هـ كما هو مكتوب على باب خلوتها) كما جاء في كتاب تاريخ عمارة المسجد الحرام.

(٤) يقول صاحب تاريخ عمارة المسجد الحرام إن ذلك كان في حدود سنة ٩٧٠هـ.

وفرغوا من عمارتها في محرم الحرام سنة اثنتين وسبعين وسبعمائة وهي باقية إلى الآن(١).

وخامسها : منارة باب الزيادة، وهي قديمة بدورين، ثم سقطت وأنشأها الملك الأشرف برسباي في سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة، وهي باقية إلى الآن.

وسادسها : منارة مدرسة السلطان قايتباي، بناها على عقد باب مدرسته في غاية الصناعة بثلاثة أدوار، وبنى نظيرها على عقد باب مسجد الخيف بمنى وفرغ من بنائهما بعد الثمانين وثمانمائة.

وسابعها : منارة السلطان الأعظم السلطان سليمان خان عليه الرحمة والرضوان، أمر ببنائها في إحدى مدارسه الشريفة فيما بين باب السلام وباب الزيادة، وهي منارة في غاية العلو والارتفاع: مشرفة على البقاع، مبنية بالحجر الشميسي الأصفر، مسبوكة سبك الذهب الأحمر، لها ثلاث دوائر مرفوعة وأساسات محكمة موضوعة، رأسها على أسلوب منائر الروم، تكاد تلازم معارج النجوم، وتغوص في الأرض إلى مدارج النجوم، بناها المرحوم قاسم بك، وفرغ من بنائها في سنة ثلاث وسبعين وتسعمائة(٢).

وبعلو مكة شرّفها الله تعالى منارة على مسجد الراية على يمين الذاهب إلى المعلاة بقرب بئر عدي بن جبير بن مطعم بن نوفل(٣)

---

(١) عمرت في سنة ١١١٣هـ.وينظر عن تجديد وانشاء المنائر، في كتاب: أشهر المساجد في الإسلام ج١/٥١ لسيد عبدالمجيد بكر.(ج)

(٢) في الأصل (ثلاث وسبعين وسبعمائة)والتصحيح من المطول ص ١٩٤ وهذه عهدناها على عمارتها، كما أن مجموع مآذن المسجد الحرام على مانعهد هي السبع التي سلف ذكرها.

(٣) في الطبعة الأوروبية من المطول ص ٤٢٧(جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل) ويؤيده الأزرقي وهو يذكر أن حافرها هو قصي ثم دثرت، فأحياها جبير بن مطعم من وجهاء قريش، ويقول الشيخ رشدي ملحس في تعليقاته على الأزرقي في الجزء الثانى ص ١٧٤ إنها تعرف اليوم ببئر الدشيشة بالكمالية.

ويقال أن النبي صلى الله عليه وسلم ركز رايته يوم فتح مكة فيه، وهي منارة عتيقة، ولها دوران، ولا أعلم من بناها، يؤذن فيها أهل الخير بالإعلام بدخول الأوقات، ويعلق فيها قناديل في رمضان، للإعلام بدخول وقت الإفطار، وتطفأ بدخول الفجر ليمتنع الصائمون من الأكل والشرب. قال شيخنا رحمه الله تعالى: وقد كان بمكة في شعابها وفجاجها ورؤوس جبالها نحو خمسين منارة، وكان للمؤذنين بها معالم يتناولونها، وقد زالت جميعها، وما بقي إلا ما ذكرناه، فسبحان الدائم الباقي.

واعلم(١)ان الكعبة المعظمة زادها الله شرفاً هي في وسط المسجد الحرام. وها أنا أبين لك بالذراع المصري المعروف في بلدنا بين أهلها معرفة تامة، فطولها من الحجر الأسود إلى الركن الشامي واحد وعشرون ذراعاً. ومن الركن الشامي إلى الركن العراقي سبعة عشر ذراعاً وثلثا ذراع (ومن الركن العراقي إلى الركن اليماني أحد وعشرون ذراعاً وثلثا ذراع(٢)). ومن الركن اليماني إلى الحجر الأسود ثمانية عشر ذراعاً، وطولها من أسفل إلى فوق سبعة وعشرون ذراعاً، وارتفاع الباب عن الأرض ثلاثة أذرع وثلثا ذراع، وارتفاع الحجر الأسود عن الأرض ذراعان وربع ذراع، وارتفاع الحجر اليماني عن الأرض ثلاثة أذرع إلا ثلث ذراع، وداخل الكعبة ثلاث أسطوانات من خشب، فمن الجدار اليماني إلى الأسطوانة الأولى أربعة أذرع، وبين كل من الأسطوانات أربعة أذرع، وبين الأسطوانة الثالثة والجدار الشامي ذراعان إلا ثلاثة قراريط، ومن الجدار الشرقي إلى وجه الأسطوانات خمسة أذرع إلا قيراطين. ومن خلف الأسطوانات إلى الجدار الغربي ستة أذرع ونصف ذراع، وعرض الجدار الجنوبي داخل البيت الشريف، وهو على يسار الداخل في الكعبة المعظمة تسعة أذرع وثلثا ذراع، وعرض الجدار الغربي وهو الذى في الباب المسدود ثمانية عشر ذراعاً وربع ذراع وعرض الجدار الشامي من الركن إلى البترة التى فيها الدرجة يصعد منها إلى السطح

(١) هذا من كلام المختصر.

(٢) استدركت من طبعة المطول الاوروبية ص ٤٢٨ في فصل أضيف فيه للمختصر.

تسعة أذرع وثلاثة أرباع ذراع، وعرض البترة من الجانب الشامي ذراعان، ومن الجانب الشرقي ثلاثة أذرع إلا رأس الحديدة وعرض الجدار الذى فيه الباب وهو الشرقي من بترة الدرجة إلى الباب تسعة أذرع ونصف ذراع، وعرض البترة من الحجر الأسود إلى أول الباب ذراعان وثلاثة قراريط وعلى يمين الداخل في آخر الكعبة المشرفة باب صغير يصعد منه إلى السطح بدرجة من خشب.

وسطح البيت الشريف كله مرخم بالرخام الأبيض، وطول كل فتحة من فتحتي الحجر أربعة أذرع وقيراطان، وعرضه من تحت الميزاب من جدار يخلص إلى جدار الحجر أربعة عشر ذراعاً وسدس ذراع، وارتفاع دائرة الحجر عن الأرض في باطن الحجر ذراعان ومن خارجه ذراعان وقيراطان، وعرض المطاف الشريف من باب البيت إلى المقام واحد وعشرون ذراعاً إلا قيراطاً ومن أول الحاشية أى حاشية مقام الحنبلي إلى شباك المقام ثلاثة وعشرون ذراعاً وربع ذراع، ومن شباك المقام إلى أول الحاشية من الجهة الثانية ثلاثة عشر ذراعاً وثلث ذراع، وبجانب المقام منبر الخطيب وبينهما سبعة أذرع إلا قيراطاً(١).

والمقام قد عمل عليه صندوق من خشب وعمل على الصندوق قفص من حديد محيط به من الأربع الجهات وفوقه قبة ومن شرقيه باب من حديد بدرفتين يفتح ويدخل منه إلى المحل ثم إلى الصندوق عليه ثوب مخيط بجر الفضة المموهة بالذهب على أسلوب البرقع، والطراز وهو يصل كل عام مع الكسوة فإذا أراد الإنسان الزيارة يرفع جانباً من الثوب ويفتح الصندوق ويصب في حجر المقام ماء ويشرب للتبرك به(٢) وبعد القفص الحديد في مقابلة

---

(١) في النسخة الأوروبية ص ٤٢٩ (الأفيراطين) •

(٢) روى الأزرقي عن قتادة(واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى) قال: إنما أمروا أن يصلوا عنده، ولم يؤمروا بمسحه، ولقد تكلفت هذه الأمة شيئا ماتكلفته الأمم قبلها ولقد ذكر لنا بعض من رأى أثره وأصابعه، فما زالت هذه الأمة تمسحه حتى اخلولق وانماح).

بابه أربع أسطوانات من الحجر الصوان يصلي فيها الإمام الشافعي الخمسة الفروض ثم بعده فسحة موضوع بها الدرجة التي توضع للداخلين في البيت الشريف وفي الفسحة المذكورة عقد من آجر مبيض بالجبس يوضع في ليالي أول الشهر والأعياد ونحوها عليها الشعل وطول هذه الفسحة من أسطوانة المقام إلى آخرها ثمانية عشر ذراعاً وعرض المطاف من جدر الحجر مما يقابل الميزاب إلى جهة مقام الحنفي اثنان وعشرون ذراعاً وعرض المطاف من جهة المستجار إلى آخره ثلاثون ذراعاً، وعرض المطاف أيضاً من جهة الركن اليماني إلى المطاف ثمانية وعشرون ذراعاً ودائرة الطواف مرتفعة عن الأرض نحو ثلث ذراع وفيها من الأسطوانات النحاس إحدى وثلاثون أسطوانة واثنتان من الرخام الأبيض، وتحت كل أسطوانة حجر مربع هو قاعدة الأسطوانة، وبين كل أسطوانتين وتر من خشب مصفح بالرصاص وفيه سبعة قناديل، وبعد الأسطوانات حاشية الطواف وهي كانت تفرش بالحصا كسائر المسجد فلما حج الوزير سنان باشا في عوده من فتح اليمن فرشها جميعها بالحجر المنحوت وعرض هذه الحاشية مختلف من مقام الحنبلي نحو سبعة أذرع(١).

وبين مقام الحنبلي وجدر سبيل الخاسكي الذى بلصق زمزم تسعة أذرع إلا قيراطاً وبصحن المسجد من جانب الباب الشريف بئر زمزم يعلوها مكان مرتفع يؤذن فيه رئيس المؤذنين، ثم هناك قبة للفراشين يوضع فيها شمع المسجد وفرشه وفوانيسه ثم بالقرب منها قبة سقاية العباس(٢) وهي حوض كبير يملأ ليشرب منه الحجاج وبظهر القبة محل صغير بيد الوقادين فيه زيت الحرم اليومي.

وطول المسجد من عتبة باب السلام إلى عتبة باب العمرة ثلثمائة ذراع

---

(١) بياض في الأصل وكذا في الطبعة الأوروبية.

(٢) قبة سقاية العباس وقبة الفراشين قد أزيلتا سنة١٣٠١هـ في إمارة الشريف عون على إثر دخول سيل إلى المسجد الحرام أتلف ماكان فيها من الكتب وغيرها، ويتلخص من أقوال المؤرخين أنهما كانتا إلى شرقي بئر زمزم.

وواحد وخمسون ذراعاً ومن عتبة باب السدرة(١) إلى باب أم هانىء مائة ذراع وثلاثة وخمسون ذراعاً ومن عتبة باب حزورة إلى عتبة باب علي ثلثمائة ذراع واثنان وعشرون ذراعاً ومن عتبة باب البغلة إلى جدار المدرسة السليمانية مائتا ذراع واثنان وثلاثون ذراعاً وربع ذراع.

وطول زيادة دار الندوة من عتبة الباب إلى آخر أروقة الزيادة سبعة وخمسون ذراعاً وثلث ذراع وعرضها من جدار السليمانية إلى جدار بيت المرحوم ميرزا مخدوم أربعة وثمانون ذراعاً وثلاثة أرباع ذراع وعرضها من جدار رباط الخوزي إلى رباط ناظر الخاص ثلاثة وخمسون ذراعاً، وطولها من جدار قصر الغوري إلى البترة المتصلة بالرواق أربعة وثلاثون ذراعاً وطول المسجد من جدار البيت الشريف من ناحية الباب إلى أول الأساطين مائة ذراع وأربعة وسبعون ذراعاً ومن تحت الميزاب إلى أول الأساطين سبعة وثمانون ذراعاً ومن جدار البيت الغربي إلى أول الأساطين مائة ذراع وتسعة عشر ذراعاً ومن الجانب الجنوبي من جدار البيت إلى أول أساطين الرواق ثلاثة وثمانون ذراعاً.

وطول المقام من أول الشباك إلى آخر العمود منه عشرة أذرع إلا ربع ذراع وبين زمزم وقبة الفراشين فسحة مفروشة بالحجر الصوان معروفة بفسحة زمزم طولها ثمانية عشر ذراعاً ونصف ذراع وعرضها أربعة عشر ذراعاً.

(١) في الأصل «باب السلام» وهو خطأ والصحيح ماأثبتناه عن طبعة المطول الأوربية ص٤٣٠ في الفصل المضاف من كلام المختصر.

فصـــل

فيما لحضرة سلطان العالم من المآثر الحسان والخيرات الجارية والإحسان بمدينة سيد ولد عدنان عليه الصلاة والسلام الأتمان الأكملان.

وغالب هذه الخيرات بعرض محب العلماء والصلحاء الباذل نفسه لنفع الفقراء، من انفرد عن أقرانه بأحسن سير، حتى صار كل إليه يشير، ذى العفة والديانة، والاستقامة والأمانة، مصطفى أفندى شيخ الحرم النبوي.

فمن ذلك أنه كان بالمدينة أحد عشر رباطاً قد خربت ودثرت فمنها ماسلب الانتفاع بالكلية وهي أربعة، ومنها ما كان ينتفع ببعضها وهي سبعة فأمر بتجديد ماخرب وعمرت كلّها على أحسن أسلوب وصار يسكنها(١) الفقراء، وكان ذلك في سنة أربع وثمانين وتسعمائة وفي سنة ثمان وثمانين وتسعمائة عمر مطبخ الدشيشة التي بداخل المدينة المنورة المعروفة بدشيشة الرسول صلى الله عليه وسلم، وعين لخدام الدشيشة كل يوم دينارين ولطبيخ الدشيشة كل عام ألف أردب جزاه الله تعالى أفضل الجزاء من الرتب يوم لا ينفع مال ولا ولد ولا صحب.

وفي سنة تسع وتسعين وتسعمائة بنى له سبيل عظيم خارج باب المصري يملأ كل يوم بالماء العذب يشرب منه الصادر والوارد، وعين لخدام السبيل وناظر كل عام ستين عثمانياً وفي كل عام خمسين أردباً من الحنطة تعطى لهم.

---

(١) في الأصل: يسكنونها.(ج)

وفي سنة إحدى وتسعين(١) عين لأغوات(٢) الحرم الشريف وهم سبع وخمسون نفسا لكل واحد منهم في كل يوم قدحاً واحداً من حب الجراية الخاصة.

وعين أيضاً في السنة المذكورة لعبيد العين الزرقاء وهم سبعة عشر نفراً لكل واحد منهم كل يوم قدح حب من الجراية الخاصة وفي السنة المذكورة عين لجماعة من المجاورين والصلحاء والفقراء والعلماء بالمدينة المنورة زيادة على ما كان لهم سابقاً لكل واحد خمسة أرادب حب في كل سنة ولبعضهم عشرة أرادب حب في كل سنة وصار مجموع ذلك مع الأغوات وعبيد العين نحو ألف أردب في كل سنة.

وفي سنة أربع وتسعين عمّر رباطين أحدهما عند مسجد(٣) أبى بكر الصديق رضي الله عنه، والثانى عند مسجد(٤) علي بن أبى طالب كرم الله وجهه، وكذلك عمر المسجدين المذكورين فإنهما كانا قد خربا وتهدما ورتب لهما مايحتاجان إليه من الإمام والمؤذن وباقى الوظائف، وجعل لكل واحد ما يليق له من العلوفة من مال السلطنة الشريفة.

وفي سنة ست وتسعين وتسعمائة(٥) عيّن لجيران رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة آلاف أردب حب من الحنطة وخمسمائة أردب للمنقطعين من الحجاج ويحمل ذلك على ظهور الجمال من مصر إلى السويس ويشحن في المراكب السلطانية من السويس إلى ينبع، وينخل في ينبع ويخزن في الشونة التى أنشأها في ينبع الآتى ذكرها فيما بعد إن شاء الله تعالى، ثم يحمل الحب جميعه إلى المدينة المنورة على الجمال ويفرق على الفقراء

---

(١) يقصد وتسعمائة وكذلك فيما سيأتي من أمثالها.

(٢) ينظر: رسائل في تاريخ المدينة ص/٧٧(ج).

(٣) ينظر:أشهر المساجد في الإسلام ج١/٢٦٥(ج).

(٤) المصدر السابق ١/٢٧٥.(ج).

(٥) في الأصل ست وثمانين والصواب كما في الطبعةالأوروبية سنة ٩٩٦هـ هو مأاثبتناه.

والمستحقين، وجعل لحمل الحب من ينبع إلى المدينة المنورة مالاً يرسل كل عام إليها فيحسبون كل ثلاثة أرادب حملاً واحداً و يعطون لكل حمل واحد دينار ين من الذهب الجديد.

وفي سنة ثمان وتسعين عمرت التكية السلطانية المرادية وذلك خارج السور بالقرب من الباب المصري، مشتملة على مطبخ عظيم وشونة ومخازن وطواجين وفرن وسائر اللوازم يطبخ فيها كل يوم من القمح (بياض) ويخبز فيها من الخبز (بياض)(١) و يطبخ فيها ز يادة على المعتاد ليلة الجمعة أرز وأرز حلو وفي ليلة الجمعة الثانية أرزٌ وزردة(٢) وهكذا جميع جُمَع السنة على التوالى، وهذا شيء ماسمع به في ديار العرب واشترى لذلك قرى وضياعاً بمصر يحصل منها كل سنة خمسة وعشرون ألف جنيه ذهباً وهذا الخير لم يسبق إليه وإنما خصه الله تعالى به لجيران حبيبه الأعظم، وإن جيران بيت الله الحرام لفى احتياج عظيم إلى مثل هذه التكية فإنه ليس بمكة سوى تكية واحدة وهي تكية المرحومة خاصكى سلطان عليها الرحمة والرضوان، وقد كثر الفقراء بمكة حيث صاروا يوزعون الرغيف الواحد بين أربعة أنفس من الفقراء، ولا يكفي ربعهم جزى الله خيراً من كان سبباً لهم في تكية ثانية، وقد عاهدت الله أنه إن تيسر لي التشرف بالأعتاب السلطانية أن أعرض ذلك عليها فإنه خير كثير وأجر كبير والفقراء بغاية الاحتياج، وأنا أسأل فضل كل من اطلع على تاريخى هذا وأمكنه أن يسعى لجيران الله في عمل تكية ثانية أن يصرف همته في عرض ذلك و يعرضه ليحصل له المشاركة في الثواب يوم الجزاء والحساب(٣) وفي السنة المذكورة بنى لخدام عمارة التكية المذكورة ثمانية بيوت للمتزوجين وستة للعزاب من الخدام المذكور ين.

---

(١) بياض في موضعين بالأصل وكذلك في الطبعة الأوربية

(٢) زردة: كلمة هندية وهو اسم لنوع من الرز الحلو يضعون فيه الزعفران فيصير لونه أصفر والأصفر يقال له بالفارسية(زرد). ومازال هذا اللون من الطعام يصنع في العراق احتفاء ببعض المناسبات و يسمى(زردة وحليب).(ج)

(٣) في الأصل والثواب وهو تكرار والتصحيح من الطبعة الأورو بية.

وعمر أيضا بالقرب من التكية المذكورة مكتباً(١) في غاية الاستحكام والإتقان والعلو وارتفاع البنيان، وجعل فيه مؤدباً للأطفال يعلمهم كلام الله تعالى المتعال وشرط أن يعلم(٢) المؤدب فيه خمسين من الأطفال الأيتام، وعمل له أيضاً عريفاً(٣) وهو من يساعد المعلم على تعليم الأولاد، وعيّن لكل واحد من الخمسين اليتيم والمعلم والعريف بالكعبة من الطعام والكسوة والألواح والخبز وجميع اللوازم من الخيرات السلطانية.

وبنى في التاريخ المذكور زاوية جليلة جديدة، وعين لها شيخاً وعشرة أنفس من الصوفية (يذكرون الله تعالى في الصبح والمساء ومن التكية عين للشيخ رغيفين وللصوفية رغيفاً بالصباح والمساء(٤) وطعام من التكية الجديدة وعين لهم خبزاً وبنى لهم خلاوى(٥) ملاصقة لمسجد أبي بكر الصديق رضي الله عنه ليس لها نظير في الممالك وفرشها وجعلها بالقرب من الماء بحيث أن كل من أتاها ناداه لسان حالها توضأ وتعال إلى العبادة، وجعل لها إماماً يصلى الفروض الخمسة بأهل تلك الجهات ضاعف الله تعالى له المثوبات ورفع الدرجات وعين أربعين من الصلحاء والعلماء يجتمعون كل يوم بالروضة الشريفة يقرأون سورة الأنعام للنصر على الأعداء وجعل لكل شخص من المذكورين اثني عشر ديناراً في كل عام تصل إليه بالتمام.

وعين ثلاثين نفراً من الصلحاء والفقراء يقرأون القرآن كل يوم بالروضة المطهرة وجعل كاتب غيبة(٦) ومفرق الأجزاء فإذا فرغوا من تلاوة القرآن

---

(١) ينظر: رسائل في تاريخ المدينةص/٥١ ــ ٥٢. (ج)

(٢) في الأصل (يعمل) والتصويب من الطبعة الأوروبية.

(٣) العريف: مازال هذا المصطلح معروفاً اليوم في المدارس المملكة العربية السعودية، ويختار من بين الطلاب..(ج)

(٤) العبارة المحصورة في القوسين ساقطة من النسخة المدنية استدركناها من النسخة المكية الناقصة الموجودة بمكتبة الشيخ عبد الوهاب الدهلوي كذلك يوجد هذا النقص في الطبعة الأوروبية في المطول في الفصل المنسوب إلى المختصر.

(٥) الخلاوي : اسم للمدارس والتكايا التى يُدرس فيها علوم الشريعة، وهي معروفة في أفريقيا، وبخاصة في السودان.. ولها دور كبير في نشر الدين الإسلامي هناك. (ج)

(٦) لعل المقصود بكاتب الغيبة هو الذي يسجل غياب المتغيبين من القراء.

الشريف يدعو الداعى يرفعون أكفهم بالتأمين ويهدون ثواب ذلك في صحائف السلطنة الشريفة قرن الله تعالى ذلك بالقبول وعين لكل واحد من المذكورين اثني عشر ديناراً.

وعين أيضاً ثلاثين نفساً من الصلحاء والفقراء يتلون أيضاً ختمة شريفة من القرآن كل يوم وعمل لهم كالأول كاتب الغيبة والداعى والمفرق وعين لكل واحد في كل سنة ثلاثة عشر ديناراً ونصف دينار.

وعين في كل عام مائة نفر يحجون عن حضرته الشريفة، يحرمون بالحج من الميقات، و يقفون و يدعون بالنصر والتأييد وجعل في مقابلة ذلك لكل نفر عشرة دنانير.

وجعل خمسة مدرسين، للمذاهب الأربعة أربعة، والمدرس الخامس جعله للحديث، وعين لكل واحد من خطيبي الشافعي أربعين عثمانياً.

وفي عام أربعة وتسعين وتسعمائة جدد جدار المسجد النبوي من باب النساء إلى منارة المرحوم السلطان سليمان خان عليه الرحمة والرضوان وطول الجدار الذى عمر خمسة وتسعون ذراعاً وارتفاعه سبعة عشر ذراعا وذلك أنه كان حصل في الجدار المذكور وهن فخشي عليه السقوط فهدم إلى الأساس وعمر جديداً بغاية الإحكام والاستحكام.

وفي سنة تسع وتسعين(١) رمم سطح الحرم الشريف المحترم وفرشت الروضة المطهرة المقدسة، وبيضت جدران المسجد الشريف ودهنت ثلثمائة أسطوانة بأنواع الدهان من الألوان المقبولة وعملت فيها شمسات من الذهب حتى صارت تدهش الناظر وعمر لسبعة أنفس من عبيد العين سبعة بيوت ليسكنوا فيها هم وعيالهم.

وفي سنة تسع وتسعين والتى بعدها بنى رباطاً بثلاثين خلوة للعزاب

(١) في النسخة الأوروبية(سبع وتسعين).

يسكنون بها، ورباطاً ثانياً فيه عشر خلاوي للمتزوجين، وذلك ليجتمعوا كلهم فيه كل يوم و يصلون الفروض الخمسة فى مسجد قباء. و بنى حنيفة وسبيلاً. وقد كان المسجد مهجوراً فأحياه، وجعل له إماماً وخطيباً ومؤذناً و بواباً وكناساً، ورتّب لكل واحد معلوماً بقدر حاله، وكان قد خرب من سطح مسجد قباء نحو خمسين ذراعاً فأصلحه وجدده وغير خشبه الذى تلف بخشب جديد مليح.

فى سنة أربع وثمانين وتسعمائة بنى في ينبع البحر سور الشونة لحفظ حبوب الدشيشة الشريفة القديمة والجديدة، وعمر أيضاً شونة ثانية ليجعل فيها حب الصدقة الشريفة المراد به الخاينة. وكان في ينبع المبارك جامع كبير للمرحوم السلطان سليمان خان، فهدم إلى الأساس وأعيد على أحسن ما يكون، وأصلح السقف و باقى جدران الجامع على أسلوب حسن.

وكذلك مزارات السادات التى بالبقيع وقبور الأولياء والصالحين عمرت وأصلحت كلّها.

وعمر أيضا ساحل ينبع المبارك وأصلح ماكان يحتاج إلى إصلاحه وذلك(١) نحو ثلاثة وخمسين ذراعاً وعرضها أربعة عشر ذراعاً. وهذا الذى ذكرناه قطرة من بحر خاقان آل عثمان، جبلوا على حب فعل الخير والإحسان، وإذا وجدوا من دلّهم على فعل الخير انصاعوا له ورغبوا وفعلوا ولم يملوا، ولعمرى إن مكة المشرفة زادها الله تعالى شرفاً وكرماً يضاعف فيها الثواب من الخيرات(٢) أكثر من المدينة المنورة، فقد كان اللائق كل مايفعله السلطان بالمدينة الشريفة يكون له نظير في مكة المشرفة.

ومن خيراته العظيمة الرو ية الجديدة ومقدارها أربعة وأربعون ألف دينار

---

(١) هكذا في الأصل وفي الطبعة الأوروبية من المطول في الفصل الخاص بزيادات المختصر، و يبدو أن في الكلام حذفاً.

(٢) ينظر: القرى للطبري ص/٦٥٨(ج)

أمر بتجهيزها إلى مكة المشرفة وإلى المدينة المنورة، منها لمكة المشرفة نحو أحد عشر ألف ديناراً والباقى للمدينة المنورة، وهي تصل في كل سنة بحمد الله.

وقد كان بعض من لا يحب فعل الخير أنهى إلى مسامع السلطنة الشريفة ان هذه الأموال التى أمرت بالتصدق بها في كل سنة من عين مالك، لا من الأوقاف، فأجابه هي كانت في هذه المدة تحمل إلي، وأنا قد جعلت ثوابها في صحائفي، كما أن الرو ية القديمة في صحائف أجدادى.

فانظر ياأخى إلى هذا السلطان الحكيم الكريم، وقدر ما أنفقه وصرفه على جيران الله وجيران رسول الله صلى الله عليه وسلم.

خاتمة (١)
في ذكر الأماكن المباركة والأماكن المأثورة بمكة المشرفة

فمنها المواضع التي نص العلماء رحمهم الله تعالى أن الدعاء مستجاب فيها. وذكر الحسن البصري خمسة عشر موضعاً(٢)، وزاد غيره مواضع أخرى، فبلغت ثلاثة وخمسين موضعاً، وذكر منها مواضع غير معروفة الآن، فاقتصرت على المعروف منها وهي المطاف جميعه والملتزم(٣) وهو ما بين الحجر الأسود والباب، وقد جرّبته مراراً وجرّبه غيرى، وتحت ميزاب الرحمة(٤) وداخل الكعبة، وعند زمزم، وخلف المقام، وعلى الصفا، وعلى المروة، وفي المسعى، وفي عرفات، وفي مزدلفة، وفي منى، وعند الجمرات الثلاث، وفي باب النبي صلى الله عليه وسلم المعروف الآن بباب الحريرين وفي باب الصفا، وفي باب السلام وفي ثبير(٥)، وفي مسجد الكبش(٦)، وفي مسجد الخيف(٧)، وفي مسجد النحر، وهو موجود الآن بمنى، غير أنه دائر، عمرّ الله من عمره، وفي غار المرسلات، وهو على يمين الذاهب إلى عرفات، وفي

---

(١) عودة إلى حديث صاحب المطول.

(٢) في رسالته: فضائل مكة والسكنى فيها، وهي مطبوعة، مرتين في القاهرة، وفي بغداد.(ط/ بغداد نشرها الدكتور سامي مكي العاني).(ج)

(٣) سمى بالملتزم لأن الناس يلتزمونه و يدعون عنده.

(٤) روى عن ابن عباس أنه قال: (صلوا في مصلى الأخيار واشربوا من شراب الأبرار، فقيل له: مامصلى الأخيار؟ وماشراب الأبرار؟ فقال: تحت الميزاب، وماء زمزم)

(٥) المقصود به ثبير الأثبرة بمنى على يمين الذاهب إلى عرفة وبجواره مسجد الخيف.

(٦) كان بمنى على يسار الذاهب إلى عرفات يسمى موضعه «مجر الكبش» أى كبش فداء اسماعيل.

(٧) وفصّل القول في ذكر الأماكن المباركة في مكة المشرفة، غير واحد ممّن ألّف في أخبارها.. منهم التقي الفاسي، في العقد الثمين ج ١ ص / ٩٤ ـــ ١٠٣، والأزرقي ٢/ ١٩٨ ومابعدها.. (ج).

سقفه تجويف تزعم العامة أنه لانَ لرأس النبي صلى الله عليه وسلم فأثر فيه، فيضع الزائر رأسه فيه تيمناً به، ولم أقف على خبر أعتمد عليه في ذلك.

ويستجاب الدعاء في دار خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها، وهو معروف الآن بمكة، ويعرف بمولد السيدة فاطمة رضي الله عنها، لأنها ولدت فيها، هي وجميع أولاد خديجة من النبي صلى الله عليه وسلم، وتوفيت بها، ولم يزل صلى الله عليه وسلم ساكناً بها إلى أن هاجر إلى المدينة، فأخذها عقيل بن أبي طالب، ثم اشتراها معاوية بن أبي سفيان فجعلها مسجداً يصلي فيه، فخرب، فأمر بتعميره المرحوم(١) المقدسي السلطان سليمان خان عليه الرحمة والرضوان في سنة خمس وثلاثين وتسعمائة.

وكذا في مولد النبي صلى الله عليه وسلم وهو موضع مشهور بشعب بني هاشم، ويزار في الليلة الثانية عشرة من شهر ربيع الأول في كل سنة فتجتمع الفقهاء والأعيان على قاضي مكة المشرفة بعد صلاة المغرب ويحضر جميع مشايخ الصوفية بأعلامهم ويخرج القاضي الشمع من حاصل المسجد والزيت ويسرج الشموع ويسير القاضي ومعه جميع من ذكر من المسجد إلى سوق الليل(٢) إلى أن يصلوا إلى المحل المذكور فيدخلون فيه ويخطب ويدعو للسلطنة الشريفة ثم يعودون إلى المسجد الحرام، ويجلسون صفوفاً في وسط المسجد ويقف رئيس المؤذنين بين يدى القاضي ويدعو للسلطنة الشريفة نصرها الله تعالى وقد قال بعض العلماء بإجابة الدعاء في مولد النبي صلى الله عليه وسلم عند الزوال، وفي دار السيدة خديجة أم المؤمنين في ليلة

---

(١) في المطول بعده ص ١٩٦(عمر هذا المحل الشريف في زمان الناصر العباسي، وفي زمان الأشرف شعبان صاحب مصر، وعمره أيضا الملك المظفر الغساني صاحب اليمن، وبعد هذه العمارات عمره السلطان سليمان. وينظر العقد الثمين ٩٨/١

(٢) ماتزال هذه المحلة محتفظة بهذا الاسم، أما شعب بني هاشم فيعرف اليوم«بشعب علي» هذا ويلاحظ أن المصنف لم يورد أدلة واضحة من السنة على إجابة الدعاء في مثل هذه الأماكن.

الجمعة وقال المحب الطبري: إن دار خديجة أفضل المواضع بمكة بعد المسجد الحرام.

ومنها دار (الخيزران): وهي بالقرب من الصفا كانت تسمى دار الأرقم المخزومي(١) ثم عرفت بدار الخيزران والمختبى، وهو أفضل المواضع بمكة، بعد دار أم المؤمنين خديجة ووقت الدعاء فيها بين العشائين والمختبى قبة تزار وهو الموضع الذى كان النبي صلى الله عليه وسلم يختبىء فيه من الكفار ويجتمع فيه عليه من آمن به و يصلى بهم الأوقات الخمسة سراً إلى أن أسلم أمير(٢) المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فجهر بالإسلام و بالصلوات وأعز الله الإسلام به ودار الخيزران هي دار حول هذا المختبى ملكتها الخيزران أم الرشيد وتناقلت في يد الملاك إلى أن صارت الآن من جملة أملاك سلطان سلاطين العالم خليفة الله على كافة بنى آدم، سلطان الروم والعرب والعجم الملك المظفر المنصور الأعظم مراد خان (وقد عمر فى هذا المحل المذكور ثلاثة بيوت ملاح في سنة تسع وتسعين وتسعمائة وعملهم وقفا على خيرات، وعمل أولها مدرسة وقرر لها معلوما يحمل من مصر من أوقات الدشائش الصغرى، كما تقدم بيانه) وفي جبل ثور(٣) عند الظهر وجبل ثبير وحراء(٤) مطلقاً.

ومنها مسجد(٥) البيعة وهو مسجد على يسار الذاهب إلى منى بينه وبين العقبة التى هي حد منى مقدار غلوة أو أكثر وهو مسجد متهدم وقد

---

(١) أحد الصحابة السابقين للإسلام.

(٢) استدركت من المطول ص ١٧٩.

(٣) يقع بعد محلة «المسفلة» وهو الغار الذى اختبأ فيه النبى عليه الصلاة والسلام مع صاحبه أبي بكر عند الهجرة.

(٤) يعرف اليوم بجبل «النور» و يقع في «المعابدة» وفيه تعبد الرسول قبل النبوة، وفيه نزل الوحي أول ما نزل بالآيات من سورة «اقرأ».

(٥) ينظر عنه: أشهر المساجد في الإسلام ١٦٦/١.(ج)

كان شرع في عمارته إبراهيم دفتر دار مصر(١) رحمه الله تعالى ومات ولم يوفه وهو الذى بايع النبي صلى الله عليه وسلم فيه سبعين من الأنصار بحضرة عمه العباس بن عبد المطلب، فنادى أذب العقبة وهو شيطان ذلك المكان: معاشر قريش إن الأوس والخزرج بايعوا محمداً على أن ينصروه. فأمسكت الأنصار بقوائم سيوفهم وقالوا لنقاتلن الأحمر والأسود دون رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكفاهم الله تعالى ببركة نبيه صلى الله عليه وسلم شر ذلك الشيطان. ثم هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، هو وأبو بكر لما أذن لهما في الهجرة فرحم الله تعالى من أحيى هذا المسجد وعمره.

ومنها مسجد المتكى يستجاب فيه الدعاء غداة يوم الأحد، وأنكر الأزرقي وجوده. وقال ابن الضياء في (البحر العميق): إن بأجياد الصغرى موضعاً يقال له المتكى وهو دكة مرتفعة عن الأرض ملاصقة لدار بعض بني شيبة.

قال شيخنا رحمه الله تعالى: وهذه الدكة دثرت الآن وما بقي منها إلاّ بعض أحجار وطالما سألت كثيراً من الأعيان أن يعمروها و يعيدوها كما كانت فما وفق أحد لذلك ليكون الثواب لمن وفقه الله تعالى.

وذكر النقاشي في (مناسكه) المواضع التي يستجاب فيها الدعاء بمكة ووقّت لكل بقعة وقتاً معيناً قال: أما خلف المقام وتحت الميزاب ففي السحر، وعند الركن اليماني في وقت الفجر (وعند الحجر الأسود نصف

---

(١) (دفتر دار مصر سابقاً أمين عين عرفات) المطول ص ١٩٧ وقد ذكر عن مسجد البيعة مايأتى:(فيه حجران مكتوب...في أحدهما«أمر عبد الله أمير المؤمنين أكرمه الله تعالى ببناء هذا المسجد مسجد البيعة التي كانت أول بيعة بايع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم عند عقده له العباس بن عبد المطلب» وأنه بني في سنة ١٤٤هـ والمشار إليه أبو جعفر المنصور العباسي، وعمره أيضاً المستنصر العباسي كما في حجر آخر بناه في سنة ٦٢٩هـ وتلك الأحجار ملقاة بذلك المسجد الخراب يخشى عليها الضياع...الخ).

النهار وعند الملتزم نصف الليل(١) وداخل زمزم عند غيبوبة الشمس وداخل البيت عند الزوال وعلى الصفا والمروة عند العصر، وبمنى ليلة البدر وشطر الليل، وبالمزدلفة عند طلوع الشمس، وبعرفة وقت الزوال تحت السدرة، وهي غير معروفة الآن وعلى الموقف عند غيبوبة الشمس وفي دار خديجة ليلة الجمعة وفي مولد النبي صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين عند الزوال، وفي دار الخيزران عند المختبى بين العشائين، وفي مسجد الشجرة يوم الأربعاء، وفي المتكى غداة يوم الأحد وفي ثور وحراء وثبير والمدعى عند الظهر انتهى(٢).

ومنها جبل أبي قبيس(٣)، وهو أول جبل خلق. وكان الحجر الأسود مودعاً فيه، فلما بنى إبراهيم عليه السلام الكعبة، وأراد الله أن يوضع الحجر الأسود في الكعبة أمر جبريل عليه السلام أن يحمل جبل أبي قبيس من خراسان إلى مكة لتؤخذ منه الوديعة، ففعل فلما أخذ منه الوديعة وأراد أن يرد الجبل إلى موضعه سأل الجبل الله عز وجل أن يجعله مجاوراً لبيته الحرام، فأذن له في ذلك.

قال الفاكهي: إن الدعاء مستجاب فيه، وأن وفد عاد قدموا إلى مكة للاستسقاء لقومهم فأمروا بالطلوع إلى أبي قبيس للدعاء وقبل منهم، لم يعله خاطىء يعلم الله منه الإنابة إلا أجابه إلى ما دعاه إليه، وفيه قبر آدم وحواء عليهما السلام، وشيث على أحد الروايات. وزاد الذهبي فقال: أنزلت عليه خمسون صحيفة، وعاش تسعمائة سنة ودفن مع أبيه في غار أبي قبيس.

---

(١) في الأصل(وعند الحجر الأسود نصف الليل، وعند الملتزم الليل) والاستدراك من طبعتى المطول.

(٢) لم نقف على أصل لشيء من هذا التوقيت ولالمشروعية الدعاء في أكثر هذه المواضع.

(٣) مشرف على المسجد الحرام من ناحية الصفا جنوبي شرقي المسجد الحرام. وينظر عنه: العقد الثمين ١/٩٩.

وفي أعلى الجبل صهريج يزوره الناس، وليس ذلك بقبر آدم عليه السلام، إنما هو كان يعد للماء، وفيه موضع يزعم الناس أن القمر انشق للنبي صلى الله عليه وسلم فيه(١)، وليس لذلك صحة. وذكر بعضهم أنه أفضل جبال مكة.

وقال وهب بن منبّه: حفر لآدم في موضع أبي قبيس يقال له غار الكنز فاستخرجه نوح عليه السلام وجعله معه في السفينة، فلما نضب الماء رده نوح إلى مكانه انتهى.

ومنها رباط الموفق(٢) المعروف الآن برباط المغاربة. يحكى عن الشيخ خليل، أنه كان يكثر إتيانه ويقول إن الدعاء يستجاب فيه أو عند بابه. ويروى عن الولي المشهور الشيخ عبد الله بن مطرف أنه قال: ما وضعت يدى في حلقة باب هذا الرباط إلا وقع في نفسى كم من ولي لله وضع يده في هذه الحلقة!! وفي مقبرة المعلاة مواضع يستجاب فيها الدعاء(٣)، منها مقبرة السيدة خديجة أم المؤمنين في شعب بنى هاشم(٤) كان فيه تابوت من خشب يزار فبنى عليه قبة(٥) من الحجر الشميسي الأمير محمد بن سليمان جركز دفتر دار مصر في سنة خمسين وتسعمائة، وكسا التابوت كسوة فاخرة، وعين له خادماً، ورتب له علوفته من خزائن الصدقات السلطانية

---

(١) العقد الثمين ١/١٠٠(ج)

(٢) قال بعده في المطول ١٩٨(وقفه القاضى الموفق جمال الدين علي بن عبد الوهاب الأسكندري) ولاندري وجه الدعاء عنده فضلاً عن الاجابة. فلنعدها من الأقوال المرسلة التي لا تستند إلى دليل.

(٣) ما أحرانا أن نذكر في هذه المناسبة، وفي المناسبات التي سنأتي على غرارها: أن زيارة القبور لم تشرع إلا للتذكير بالآخرة وبنهاية الإنسان، وللترحم على الموتى والدعاء لهم، وهي مقصورة في الشريعة الغراء على هذا فقط والزيارة المأثورة عن النبى الكريم معروفة مشهورة.

(٤) شعب بنى هاشم هو المعروف الآن بشعب علي بسوق الليل ومنه يعلم ان قبر خديجة ليس في المعلاة كما يظن عامة الناس.

(٥) لا توجد الآن ثمة قبة.

السليمانية العثمانية، وكذا الحوطة المدفون فيها جماعة من الصلحاء، منهم الفضيل بن عياض، وعبد الكريم القشيري والشيخ تقي الدين السبكي، والشيخ عبد الله بن عمر الطواشي، وغير من ذكر من مشاهير الصلحاء. ومنها قبر سفيان بن عيينة، وكذا قبر الشيخ أبي الحسن على الشولي. وذكر الشيخ خليل المالكي أن الدعاء عنده مستجاب، وكذا عند قبور سماسرة الخير بالمعلاة، ويقال إنه إذا أراد أن يدعو عند سماسرة الخير يستقبل القبلة، بحيث تكون تربة الملك المسعود عن يساره وقد اندثرت تربة الملك المسعود الآن إلا أن محلها فوق البئر المعروف ببئر أم سليمان الموجودة الآن مرتفعاً عن طريق السيل. ومنها عند قبر الدلاصي بالقرب من الجبل.

قال الأرجاني في (بهجة النفوس): الدعاء مستجاب عند قبره. قال شيخنا رحمه الله تعالى: ومن المواضع التي جربتها أنا لقبول الدعاء تربة شيخنا علاء الدين الكرماني النقشبندي طيب الله تعالى ثراه ونفع ببركاته أحباءه، توفي سنة تسع وعشرين وتسعمائة، وله كتب جليلة في طريق أهل الله أجلها كتاب منظوم في مقابلة المثنوى(١) رحمه الله انتهى.

ومن المواضع التي جربتها عند قبر الشيخ عبد الله بن عبد السلام بن عبد الرحمن الدكاكي المعروف بأبي الكوط، وهو في شعبة النور، وزيارته يوم الأربعاء وليلتها، رضي الله عنه ونفعنا الله به في الدنيا والآخرة(٢).

وفي مكة مواضع مباركة، وموالد متيمنة، ومساجد مأثورة. ومنها مولد أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وكرم وجهه، وهو بقرب مولد النبي(٣) صلى الله عليه وسلم في شعب علي، به مسجد متهدم، عمرّ الله من عمره.

---

(١) المثنوي: كتاب مشهور باللغة الفارسية للعارف الرومي في التصوف والأخلاق والمواعظ.

(٢) هذه العبارة من أقوال المختصر، ولك أن تقف عندها موقف المتعجب، إنها لتصور لك لون التفكير في القرن العاشر الهجري.

(٣) ينظر عن موضع مولده(صلى الله عليه وسلم)في كتاب: أعلام الحجاز، لمحمد علي مغربي ص/٨٠ والعقد الثمين ٩٨/١(ج)

ومنها موضع يقال له مولد سيدنا حمزة رضي الله عنه في أسفل مكة لاصق بموضع يقال له بازان، وهو مجرى عين حنين إلى بركة ماجن(١) قال الفاسي: لم أر مايدل على صحته وأنه مولد سيدنا حمزة لأن هذا المحل ليس محلاً لبني هاشم، وطوله خمسة عشر ذراعاً وثلث وعرضه سبعة أذرع وربع، وفي صدره محراب، وبابه في الجدار الذى إلى بركة ماجن انتهى.

ومنها موضع في أعلى جبل النوبى(٢) يقال أنه مولد أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب رضي الله عنه. قال الفاسي(٣): لا أعلم فيه شيئاً يستأنس به، غير أن جدى لأمى أبا الفضل النويري، كان يزور هذا الموضع في جماعة أصحابه في الليلة الرابعة عشرة من شهر ربيع الأول في كل سنة. انتهى.

ومنها موضع بقرب باب العجلة يقال إنه مولد سيدنا جعفر الطيار(٤) ابن أبي طالب، فيه مسجد يقال إنَّ النبي صلى الله عليه وسلم دخل فيه والله أعلم بحقيقة ذلك، وكذا في زقاق الموفق محل فيه مسجد يقال إنه دكان سيدنا أبى بكر الصديق رضي الله عنه(٥). ويقال إنها داره، ويقابل هذه الدار جدار فيه حجر يتبرك الناس بلمسه، ويقال انه كلّم النبي صلى

---

(١) البركة موجودة إلى اليوم، وتعرف بهذا الاسم إلا أن العوام يحرفونه فيقولون«بركة ماجد» ولايوجد إلى جوارها موضع أثرى.

(٢) هو جبل الزنج أحد الأثبرة في أسفل مكة ناحية الشبيكة، ويستدل من القرائن أنه الجبل الذى يعرف اليوم بجبل عمر.

(٣) العقد الثمين ٩٧/١(ج)

(٤) في طبعتي المطول(الصادق)ولاوجود الآن عند باب العجلة أو باب الباسطية. وينظر: العقد الثمين ٩٧/١

(٥) المعروف الآن أن دار أبي بكر أو دكانه في المسفلة أمام بازان كبير قائم هناك، وقد شيد آل البوقرى في هذا الموضع مسجدا، أما الحجر فلا يعرف عنه اليوم شيء على أنه كان يعرف بمكة زقاق يؤدى إلى المدعى يسمى زقاق الحجر. وينظر: العقد الثمين ٩٨/١

الله عليه وسلم حين اجتاز عليه. قال الفاسي(١): «لعل هذا الحجر إن صح كلامه للنبي صلى الله عليه وسلم هو الحجر الذى عناه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: انى لأعرف بمكة حجراً كان يسلم عليَّ ليالي البعث(٢)». انتهى.

قال شيخنا رحمه الله تعالى: وبقرب هذا الحجر قبل أن يوصل إليه في مقابلته على يسار المستقبل صفحة حجر مبنى في الجدر في وسطه مثل محل المرفق، يزوره الناس من العوام، ويزعمون أن النبي صلى الله عليه وسلم اتكأ عليه فغاص مرفقه الشريف فيه وهو يكلّم الحجر الذى أمامه على شماله.

قال ابن الضياء في (البحر العميق): إن هذا الدكان كان يبيع(٣) فيه الخز، وأسلم على يده فيه عثمان بن عفان وطلحة والزبير رضي الله عنهم.

ومن الدور المباركة دار سيدنا(٤) العباس رضي الله عنه بالمسعى عند أحد الميلين الأخضرين وهي الآن رباط يسكنه الفقراء.

ومنها بذيل جبل قعيقعان بلصق دار القاضي حسين رضي الله عنه موضع يقال له معبد الجنيد(٥) ومعبد إبراهيم بن أدهم.

---

(١) العقد الثمين ٩٨/١(ج)

(٢) فى طبعتي المطول: (ليالى بعثت).

(٣) اختصرت العبارة والضمير يرجع إلى أبى بكر رضي الله عنه، وقد قال صاحب المطول ص ١٩٩ في تعقيبه على ما روى عن دار أبي بكر والحجر المرفق(ومارأيت في كلام أحد من المؤرخين من حقق شيئا من ذلك).

(٤) العقد الثمين ٩٧/١ (ج)

(٥) العقد الثمين ٩٩/١ (ج)

ومن الجبال المأثورة بمكة، جبل حراء(١) بكسر الحاء المهملة وفتح الراء الممدودة ممنوعاً من الصرف، و يقال له جبل النور بالنون لظهور أنوار النبوة فيه وكثرة إقامة النبي صلى الله عليه وسلم فيه وتعبده ونزول الوحي عليه وذلك في منار في أعلاه معروف يؤثره الخلف عن السلف، وفي أعلاه بركة يجتمع فيا الماء من المطر.

ومن الجبال المباركة جبل ثور(٢)، وهو جبل أكبر من حراء وأبعد منه بالنسبة إلى مكة، و به غار معروف مشهور يتلقاه الخلف عن السَّلَف و يزورونه وصح أن النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر رضي الله عنه دخلاه واختبآ فيه عن المشركين لما قصدوه بالقتل فنجّاه الله تعالى منهم.

قال في (البحر): يروى أن أبا بكر رضي الله عنه لما خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم متوجها إلى الغار، جعل طوراً يمشي أمامه وطوراً خلفه وطوراً عن يمينه وطوراً عن شماله فقال له صلى الله عليه وسلم: ما هذا ياأبا بكر؟ فقال: بأبي وأمي أنت. أكون خلفك وأحفظ الطر يق يميناً وشمالا، فقال: لا بأس عليك ياأبا بكر إنَّ الله معنا. وكلّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمله أبو بكر على كاهله حتى انتهى إلى الغار فلما وضعه أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يدخل الغار فقال أبو بكر: والذى بعثك بالحق لا تدخل حتى أدخل فأسره قبلك. فدخل أبو بكر فجعل يلمس بيده الغار في ظلمة الليل مخافة أن يكون فيه شيء يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما لم ير شيئاً دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم الغار. و باتا فيه فلما أسفر بعض الإسفار رأى أبو بكر خرقاً في الغار فألقمه قدمه حتى الصباح مخافة أن يخرج منه شيء يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر

---

(١) العقد الثمين ١/١٠١ (ج)

(٢) (اسم الجبل اطحل نزله ثور بن عبد مناة فنسب اليه)القاموس المحيط، والعقد الثمين ١/٩٩ — ١٠١

الله العنكبوت فنسجت على فم الغار، والراء(١) فنبتت وحمامتين وحشيتين فعششتا عليه وباضتا(٢) فأقبل فتيان من كل بطن رجل بعصيهم وسيوفهم ومعهم كرز بن علقمة القصاص فقص حتى انتهى أثره فما أدري بعد ذلك أصعد إلى السماء أم غاص في الأرض فقال لهم قائل: ادخلوا الغار. فقال لهم أمية بن خلف: ماأربكم في الغار وأن عليه لعنكوبتاً من قبل ميلاد محمد. ثم بال حتى سال بوله في الغار بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأبي بكر رضي الله عنه. فنهى النبي صلى الله عليه وسلم عن قتل العنكبوت وقال إنها لجند من جنود الله٭ والراء شجرة لها زهر أبيض رقيق يحشى به المخاد(٣)، وحمام الحرم من نسل تلك الحمامتين.

وفي الصحيحين والترمذي عن أبى بكر رضي الله عنه قال: نظرت إلى أقدام المشركين من الغار وهم على رؤوسنا فقلت يارسول الله: لو أن أحدهم نظر إلى قدمه أبصرنا تحت قدميه فقال: يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما. انتهى.

وعن طلحة البصيري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مكثت مع صاحبي يعني أبا بكر في الغار بضعة عشر يوماً وما لنا طعام إلا ثمر البر ير قال: أبو داود والبر ير الأراك.

وقال المرجاني ذكر لي أن رجلاً كان له أموال و بنون وأنه أصيب بذلك فلم يحزن ولم يجزع على مصائبه لقوة صبره وتحمله (فنوقش) فقال روي أنه من دخل غار ثور الذى آوى إليه النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه أبو بكر رضي الله عنه وسأل الله أن يذهب عنه الحزن لم يحزن على

---

(١) الراء: نوع من النبات يأتي تفسيره.

(٢) لم يرد ذكر شيء من العنكبوت والحمام وهذا النبات في الروايات الصحيحة المتعلقة بالهجرة الشريفة.

(٣) المخاد: الوسائد وأهل مكة يسمونها المخدات والظاهر ان هذا النبات هو الذى يسمونه الآن الطرف.

شيء من مصائب الدنيا وقد فعلت ذلك وما وجدت قط حزناً قال المرجاني هذه الخاصية من ثابت قوله تعالى(١) «ثاني آثْنين إذْ هُمَا في الغار إذْ يقولُ لصاحبه لا تَحْزن إنَّ الله مَعَنا». انتهى. وتقول العامة إن من دخل من بابه الضيق للغار، واحتبس فيه أنه ليس ابن أبيه وهو كلام باطل لا أصل له، وإنما سبب احتباسه عدم معرفته بكيفية الدخول فإن في الطريق صخرة، فالعارف إذا أدخل رأسه وكتفيه مال إلى الجانب الأيسر فلا يجد ما يعوقه وغيره يستمر على وجهه فتصدمه الصخرة في صدره وهو لا يشعر بها وكلما أراد إدخال نفسه بقوة اشتد عليه الحال ولا يهتدى للمخلص فيحتاج إلى حجار يقطع طرف الخرق ليتسع وقد احتبس فيه جماعة فقطعوه فاتسع الخرق كثيراً.

ومن الجبال المباركة: ثبير هو على يسار الذاهب(٢) إلى عرفات في منى، وهو الذى أهبط عليه الكبش الذى فدى به سيدنا اسماعيل عليه السلام وفي (منسك) النقاش: أن الدعاء يستجاب في ثبير يعني ثبير الأثبرة الذي يلحقه مغارة الفتح، لأن النبي صلى الله عليه وسلَّم كان يتعبد فيها قبل النبوة وأيام ظهور الدعوة(٣) و بقرب من المغارة بلصق ثبير معتكف عائشة رضي الله عنها. قال الفاسي و يعرف هذا الموضع بصخرة عائشة رضي الله عنها.

روى الأزرقي رحمه الله بسنده إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم أنه قال: «لما تجلّى الله عزَّ وجل للجَبَل تشظّى فطارت لطلعته ثلاثة أجبل فوقعت بمكة، وثلاثة أجبل بالمدينة، فوقع بمكة حِراء وثبير وثور، ووقع بالمدينة أحد وورقان ورضوى». ومنها الجبل المقابل لثبير الذى بخلفه مسجد الخيف

---

(١) سورة التوبة ــ الآية/٤٠.(ج)

(٢) قلنا من قبل إنه على يمين الذاهب إلى عرفات، وهو القول الراجح من القولين.

(٣) لم نقف على مايؤيد هذا القول في المراجع التي بين أيدينا.

لأن فيـه غـاراً يقال له غار المرسلات فيه أثر رأس رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم.

قـال ابـن(١) جـبير بـعـد أن ذكـر مسجد الخيف: وبقربه على المار في الطـريق حجر مستدير إلى سفح الجبل مرتفع عن الأرض يظل ما تحته ذكر أن الـنبـي صـلـى الله عـليه وسلم قعد تحته مستظلاً ومس رأسه المكرم فلان الحـجـر حـتى أثر فيه تأثيراً بقدر دورة الرأس فيضع الناس رؤوسهم في هذا الموضـع تـيـمـنـاً بمـوضـع رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم كي لا تمس رؤوسهم النار. قال ابن خليل: يستحب أن يزار مسجد المرسلات وهو الذى نزلت فيه (سورة المرسلات).

ومنهـا جبـل الخنـدمة وهـو جبـل كـبير خـلـف جبل أبى قبيس روى الـفاكهي بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ما مطرت مكة قط إلا كان للخندمة غرة(٢) وذلك لأن فيها قبر سبعين نبياً. انتهى. وهي مشرفة على أجـياد الصغير وشعب عامر وهي معروفة الآن عند الناس بمكة. وأما المساجد المأثورة المبـاركـة فمنهـا مـا قد انمحى أثره ولا يعرف مكانه فلا نطول كتابنا بذكره وأما الموجود المعروف منها فعدة مساجد:

منهـا : مسجد الإجابة على يسار الذاهب إلى منى في شعب بقرب ثنية أذاخـر يـقـال أن الـنبي صلى الله عليه وسلم صلى فيه وهو منهدم وفيه حجر مـكـتوب فيه أنه مسجد الإجابة(٣) وقد بنى حوله العربان بيوتاً وهم يصلون فـيـه ويـصونونه، إلا أنه يحتاج إلى بناء أعظم من هذا أقول وهذا المحل الآن يسمى المعابدة وهو بطرف الأبطح.

---

(١) في رحلته المشهورة (ج)

(٢) في الأصل (غيره) والاستدراك من طبعتي المطول.

(٣) بـعـده في المـطـول (انـه عـمـر في سـنـة ٧٢٠ وعمر قريباً ثم انهدم..)الخ ص ٢٠٢ وهذا المسجد قائم إلى الآن. وينظر عن هذا المسجد: أشهر المساجد في الإسلام ج١/١٠٥ (ج)

ومنها مسجد بأعلى مكة يقال له مسجد الجن، قال الأزرقي تسميه أهل مكة الحرس(١) في مقابل الحجون وأنت مصعد على يمينك وإنما سمى مسجد الحرس لأن العسس يجتمعون عنده ليلاً قال وهو فيما يقال الموضع الذى خطه رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن مسعود ليلة استمع عليه الجن وأن الجن بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه انتهى.

قال شيخنا رحمه الله تعالى: أظنه المسجد الذى تحت الموضع الذى يسمى الفرماوية(٢) بينهما طريق ضيق والله أعلم.

ومنها مسجد الراية فيه مأذنة ذات دورين تهدم رأسها الآن ويقال لها منارة أبى شامة يقال إن النبي صلى الله عليه وسلم ركز رايته يوم الفتح في هذا المسجد(٣).

ومنها مسجد المدعى(٤) عند الميل الأيمن للمستقبل (في مقابلة زقاق الجزرة قال السيد الفاسي(٥) رحمه الله تعالى: يقال إن النبي صلى الله عليه وسلم صلى فيه المغرب، وذكره الأزرقي أيضاً في المواضع التي يستحب الصلاة فيها بمكة.

قال شيخنا رحمه الله: هو مسجد لطيف جداً موجود الآن ومعروف أحاطت به الدور إلا الجهة الجنوبية منها التى هي الطريق وهو بين دكاكين السوقة يتعين على أهل الخير بناؤه وصونه وتنظيمه، ومنها مسجد بأسفل مكة

---

(١) أما اليوم فيسمونه «مسجد الجن» كما كان يدعى قديما وقد جددت عمارته في عام ١٣٦٢هـ.

(٢) في طبعتي المطول (الفرهادية).

(٣) هذا المسجد في (الجودرية) على يمين الذاهب إلى المعلاة، وينظر: أشهر المساجد في الإسلام ١/٩٠، والعقد الثمين ١/٩٤

(٤) المسجد الذى بالمدعى فيستدل من القرائن على أنه المسجد الصغير الذى يعرف اليوم بمسجد الجلالى على يسار الذاهب إلى المعلا في آخر حدود المدعى وأول حدود الجودرية.

(٥) العقد الثمين ١/٩٤ وعيّنه بقوله: مسجد بقرب الجزرة الكبيرة من أعلاها.ولم يسمه..(ج)

ينسب إلى سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه يسمى الآن دار الهجرة، و يقال إنه ركب منها مع النبي صلى الله عليه وسلم لما هاجر إلى المدينة يزوره الناس و يذكرون الله فيه(١)، ومنها مسجد فوق التنعيم على يمين المستقبل يقال له: مسجد عائشة رضي الله عنها، وهو بعيد عن أميال حدود الحرم.

وكان يسمى مسجد الهليلجة لشجرة كانت هناك قديماً، وقد تهدم هذا المسجد، وما بقي منه إلا آثار جدارات قائمة، وكان المكان الذى أرسل إليه النبي صلى الله عليه وسلم عائشة رضي الله عنها مع أخيها رضي الله عنه لتعتمر منه، ولا يصل المعتمرون الآن إليه بل يقتصرون على أميال الحرم فيبرزون منها قليلاً ويحرمون بالعمرة و يعودون.

ومسجد عائشة رضي الله عنها مما يتعين تجديده وتعميره لأنه من الآثار المباركة القديمة عمر الله من عمره ويجز يل ثوابه غمره(٢).

قال جامعه فسح الله تعالى في مدته: وهذا آخر مالخصته من تار يخ عمي وأستاذي المولى قطب الدين بن علاء الدين مفتي مكة المشرفة ومدرس السلطانية السليمانية بها رحمه الله تعالى رحمة واسعة وأنا الفقير الحقير المقر

---

(١) العقد الثمين ٩٦/١ (ج)

(٢) مسجد عائشة: يوجد الآن على بعد كيلومترين من حدود الحرم في التنعيم وهو أحجار متراكمة وآثار جدرات مهدومة كما شاهدناها سنة (١٣٥٠هـ) و بالقرب منها بئر تسمى البنت، وهذا المحل هو مسجد عائشة القديم كما أخبرنا به أستاذنا المرحوم الشيخ عبد الستار الكتبي نقلاً عن علماء مكة وذلك سنة ١٣٥٠هـ يزوره الناس و يذكرون الله فيه. وأما المسجد المعروف اليوم بمسجد التنعيم والذى يحرم منه المعتمرون من التنعيم فبناء حديث بني بعد القرن العاشر ثم جدده السلطان محمود خان العثماني في أول جمادى الآخرة سنة ١٠١١هـ ثم عمره محمود بك والي جده بصفة دكة مرتفعة سنة ١٠١٢هـ وهذا المسجد قريب من الميلين بمعنى حدود الحرم ولايزال هذا المسجد باقياً إلى الآن.وكتبه عبد الوهاب الدهلوي. و ينظر: أشهر المساجد في الإسلام ١٨٢/١.

بالعجز والتقصير خادم العلم الشريف القائم بخدمة الافتاء والخطابة والإمامة على مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان رضي الله عنه بمكة المشرفة عبد الكريم بن محب الدين بن علاء الدين وذلك في آخر يوم الأحد لإحدى عشرة ليلة بقيت من شعبان المعظم قدره سنة ألف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأكمل التحية بدار سكناي الذي بباب العمرة، وأنا اسأل فضل من طالعه من العلماء الأعلام والموالى الفخام والأخوان الكرام أن يسبلوا ذيل العفو عما طغت به الأقلام وأن لا ينسوني من الدعاء بحسن الختام وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

* * *

تم الكتاب بعون الملك الوهاب

بسم الله الرحمن الرحيم

«صورة كتاب الوقف الشريف السلطاني الإمامي الأعظمي الخاقاني الأعدلي المظفري الوارد من خدمة الأعتاب الشريفة السلطانية إلى الديار المصرية المتضمن لإنفاق جهات على الكسوة الشريفة المعظمة المنيفة بالحرمين الشريفين المعظمين المنيفين مع ما اشتمل عليه من التنبه على ذكر جهات الكسوة القديمة المعينة فيه(١)».

الحمد لله الذى رفع القبة الخضراء، ووضع بساط الغبراء وسمك في سمائه الأفلاك، وملك في أرضه الأملاك ففتح مناهج الملك، والدولة الغراء بيمن وقاية السلاطين وحسن رعاية الأمراء، وجعل الكعبة البيت الحرام شعائر الدين الزهراء، فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه.

ثم الصلاة والسلام على سيدنا وسيد الأنبياء محمد أعلم الرسل الأعلام والأنبياء وآله الكرام الأتقياء وأصحابه العظام الأصفياء (هذا محل العلامة الشريفة بكتاب الوقف الشريف المشار إليه شرفها الله تعالى وأعلاها وزاد سموها وعلاها وهذا مثال خط مولانا الآتى شرحه المسطر تحت العلامة الشريفة في الهامش اليسار ومن محل وضعتها وصورته ما أملى في هذا الكتاب من الإقرار بالوقف على النمط المحرر المستطاب لما جرى لدي وتحقق بين يدي حكمت بموجبه الشرعي على ما يقتضيه قواعد الشرع المصطفوي العبد المحتاج إلى عفو ربه الصمد محمد بن قطب الدين بن محمد بن محمد القاضي بالعساكر المظفرة المنصورة في ولاية أنا طوني).

---

(١) هذه وثيقة تاريخية هامة تبينً الأوقاف التي وقفها السلطان سليمان في مصر لكسوة الكعبة، وليس للمختصر فيها إلا فضل إيرادها، وهي تعطينا صورة عن طريقة كتابة الوثائق الشرعية في ذلك العصر، فانت ستقف فيها عند مواضع منها موقف المتعجب لا العجب، نذكر لك على طريق المثال إسناده قول قس بن ساعدة الأيادي(اسمعوا وعوا من عاش مات..الخ) إلى النبي عليه الصلاة والسلام.

أما بعد : فهذه وثيقة أنيقة بديعة المعانى والبيان هادية نميقة أنيقة بليغة المعانى والبنيان توازى عباراتها راحاً رحيقاً بل هي أصفى وتجاري استعاراتها مسكاً سحيقاً بل هي أذكى تشعر عما هو الحق القاطع ماحواه فحواها ويخبر عما هو الصدق الساطع ما أداه مؤداها وهو أنه قد بان لدى كل ذي عقل سديد أن الدنيا الدنية قنطرة العابرين ورباط المسافرين يحل هذا و يدخل ذاك ولا يدرى إلى ماذا يصير حاله هناك وما من أحد إلاّ ويمتطى صهوتي أدهم الليل وأشهب النهار و يسير مع السائرين إلى منتهى الآجال والأعمار وهي للمرء عظة كما قال سيد الكائنات عليه أفضل الصلوات اسمعوا وعوا من عاش مات ومن مات فات وكل ما هو آت آت؟؟ والأريب من اعتبر من الرواحل واتخذ فيها لرحيله ذخيرة وزادا وأرضاً لمقامه الباقي عدة وعتادا بالصدقات التى نال بها النجاة و يتوصل بها إلى نعيم الجنات على ما نطلق به القرآن وحديث رسول الرحمن حيث قال عز من قائل: (إن الله يجزى المتصدقين والمتصدقات(١) وقال عليه الصلاة والسلام: إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له أو صدقة جارية(٢) ألا وهي الوقف(٣) ففكر في جميع ذلك السلطان الأعظم والخاقان الأكمل الأكرم ظل الله في أرضه وخليفته على خليقته في رفعه وخفضه علوى العلا من آل عثمان سلاطين الزمان سلطان البحرين والبرين والعرض القائم بالسنة والغرض عاشر المجددين لدين الإسلام بأحسن المعاشرة وعاشر السلاطين العثمانية كالعقد العاشر السلطان بن السلطان بن السلطان سليمان خان بن السلطان سليم خان بن السلطان بايزيد خان لا زالت حديقة حقيقة العالمين منورة بضياء صفاء صفاته وبضياء سناء حسناته وبلغ أرواح آبائه وأجداده الرحمة وسقاهم بالكوثر وأسبغ عليهم نعم غفرانه وأبدر منها ورأى نفسه النفيسة نعم الله تعالى جزيلة لا يسع شكرها وعلى ذاته

(١) كلمة والمتصدقات ليست من الآية الشريفة وانما كتبه الكاتب رعاية للسجع.

(٢) رواه مسلم وغيره .

(٣) جملة(الا وهى الوقف) ليست من الحديث.

الكريمة منه منة جميلة ليس في طوقه ذكرها أراد استقرارها بالأوقاف القارة واستدرارها متفكراً في قول الملك الخلاق «ماعندكم ينفد وما عند الله باق».

ونظر في قوله صلى الله عليه وسلم: «الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة» وعالما بأن تستير الكعبة المستورة بالأستار الشريفة العالية وتشريفها في الحج يوجب الجنة و يصير الهدف الساتر من العذاب والجنة وسانحاً في قلبه الفسح من قول الرسول: «من زار قبري وجبت له شفاعتي(١)» أن يستشفع منه بتكريم قبره بالأستار(٢) بل بتشريف مراقد الأتباع، وستر مراصد الأشياع أيضا بالأزار تنزيلاً إياه منزلة الزيارة الدائمة والخدمة القائمة على ممر الدهور والأعصار، فإن تلك المواضع وإن كانت جرت العادة بسترها لكنها كانت بالأموال المتطرفة والأثمان المتفرقة، فأحب أن يكون ما يصرف على هذه الآثار الشريفة من الأموال المميزة المتبركة المنيفة، فعين لهذا أجمل أملاكه وأسبابه وأجمل أمواله وأكسابه، فلذلك قال لدى المولى الفاضل النحرير الكامل مصباح رموز الدقائق كنوز الحقائق، كشاف المشكلات حلال المعضلات، الموقع أعلى هذا الكتاب، يسر الله له حسن المآب بقوله الشريف، ولفظه اللطيف، الحادي من الاعتساف، الحاوي على الإقرار والاعتراف، الذى يحوزه الشرع لاحتوائه على مايعتبره الأصل والفرع، وعلى أنه قد وقف أوقافاً وسبلها، وحبس أملاكاً وكملها، مكونة على النمط الأكفى الأشمل، وعلى الطريق المشروع الأكمل، لتكون بهذه المصلحة أوقافاً قارّة، وواردات دارّة، في الدنيا والعاجلة ومفيدة له يوم الجزاء والآجلة، وتكون عدة معتدة لغده من أمسه، وقرينة منورة لا تفارقه في رمسه، وتصير هاجرة من العذاب وجنة، و يكون جزاؤها مثل جزاء الحج المبرور الجنة، وتكون باعثة للرفاعة، وموجبة للشفاعة.

---

(١) هذا الحديث ضعيف جدا.

(٢) الاستشفاع الصحيح يكون بمتابعة الرسول عليه السلام ومحبته ورجاء الشفاعة من الله لا تتأكد باتخاذ البدع والمنكرات التي منها ستر القبور.

ومنها جميع القرى الثلاث المسماة: بيسوس(١)، وأبو الغيث(٢)، وحوض بقمص(٣) الواقعة بالولاية المصرية التى كان حصل منها في السنة الواحدة مبلغ تسعة وثمانين ألف درهم.

ومنها جميع القرى السبع الجديدة الواقعة في الولاية الشرقية بالديار المصرية، أولها قرية سلكه(٤) كان حصل منها في تلك السنة مبلغ ثلاثين ألف درهم وأربعمائة درهم وستة وتسعين درهماً. وثانيها قرية سرو بجنتمه(٥) وحاصلها فيها مبلغ واحد وسبعين ألف درهم وثمانية وعشرين درهماً. وثالثها قرية فريش الحجر(٦) حاصلها فيها مبلغ إحدى وخمسين ألف درهم وثلثمائة درهم وأربعة دراهم. ورابعها قرية منايل(٧) وكوم ريحان، وحاصلها فيها مبلغ سبعة وثلاثين ألف درهم وثمانية وأربعين درهماً. وخامسها: قرية بجبام(٨) حاصلها فيها أربعة عشر ألف درهم وتسعمائة درهم وأربعة وثلاثين درهماً. سادسها: قرية منية النصارى(٩)، وحاصلها فيها مبلغ ستين ألف درهم وثمانمائة درهم وثمانية وخمسين درهماً. وسابعها: قرية بطالية(١٠)وحاصلها فيها مبلغ عشرة آلاف درهم وأربعمائة درهم وأربعة وثمانين درهماً يكون جميع النقود المزبورة في تلك السنة المسفورة مبلغ

---

(١) هي القرية التي تعرف باسم«باسوس» بمركز قليوب مديرية القليوبية.
(٢) تعرف باسم«أبو الغيط» بالمركز المذكور.
(٣) يعرف اليوم باسم« حوض بقيس» بأراضي ناحية«مرصفا» بمركز بنها بمديرية القليوبية.
(٤) هي اليوم احدى قرى مركز المنصورة بمديرية الدقهلية.
(٥) صوابه سرو بجحة وهي القرية التي تعرف اليوم باسم السرو بمركز فارسكور بمديرية الدقهلية.
(٦) هي القرية التي تعرف اليوم باسم« أويش الحجر» بمركز المنصورة.
(٧) هي القرية التي تعرف اليوم باسم المغامل بمركز شبين القناطر بمديرية القليوبية.
(٨) هي اليوم احدى قرى مأمورية ضواحي مصر.
(٩) قرية غير معروفة اليوم (عن كتاب المحمل والحج).
(١٠) قرية غير معروفة اليوم (عن كتاب المحمل والحج).

ثلثمائة الف درهم وخمسة وستين ألفاً ومائة واثنين وخمسين درهماً فضياً محاذياً بنصف القطعة رائجاً في الوقت. أيد الله دولته من سكها باسمه السامي، ورفه رعاياه بعدله المتوفر النامي، وقف جميع القرى المزبورة المستغنية عن التحديد والتعريف والتبيين والتوصيف لشهرتها في مكانها عند أهاليها وجيرانها لكونها مشروحة ومعلومة في الدفاترالسلطانية والمناشير الخاقانية بجملة ماهلا من الحدود والحقوق، وماينسب إليها بالأصالة واللحوق والمراسم والمرافق والمداخل والطرائق، خلا ما يستثنى منها شرعاً من المساجد والمعابد والمنائر والمعابر والمراقد والمقابر والأملاك والأوقاف، وسائر ما يعرف حساسه بالأسامي والأوصاف، وسلم جميعها إلى من ولاة عليها بموجب الشرع المنصوص ونصبه للخدمة بالأمانة والاستقامة في هذا الخصوص وتسليمها هو منه للتصرف فيها بالوجه السداد على ما هو المراد تسلماً وتسلماً صحيحين شرعيين، ثم عين السلطان الفائق على حذافير السلاطين في الآفاق بالإسهال والاستحقاق، والسابق في مضامير التدابير بمكارم الأخلاق، ومراسم الاشفاق، لا زالت شموس سعادته أبدية الإشراق، وما برحت نجوم سلطنته محمية على الانمحاق، مما يحصل من تلك القرى المرموقة المذكورة على حسب التخمين التى مدارها حاصل السنة المشروحة المزبورة، فالتعيين على هذه النسبة في جميع الأعوام، قلت المحصولات أو جلت بتفاوت الشهور والأعوام، مبلغ مائتي ألف درهم وستة وسبعين ألفاً ومائتين وستة عشر درهماً لأستار ظاهر الكعبة الشريفة شرفها الله تعالى كل سنة مرة حسب ماجرت به العادة القديمة في السنين الماضية القديمة، فبقي هذا التخمين بعد الصرف المذكور في السنة مبلغ ثمانية وثمانين ألفاً وتسعمائة درهم وستة وثلاثين درهماً. وشرط أن يحفظ ذلك الباقي بحفظ المتولي إلى تمام خمسة عشر عاماً فيكون عد الجميع في هذا العام على التخمين التام مبلغ ثلاثة عشر مرة مائة ألف درهم وأربعة وثلاثين ألف درهم وأربعين درهماً، فعين من هذا الباقي المحفوظ المجموع المسطور لأستار المواضع التي تجدد في انقضاء كل خمسة عشر عاما مرة وبعد تجديدها المزبور لا تجدد في كل سنة بها روح إلى

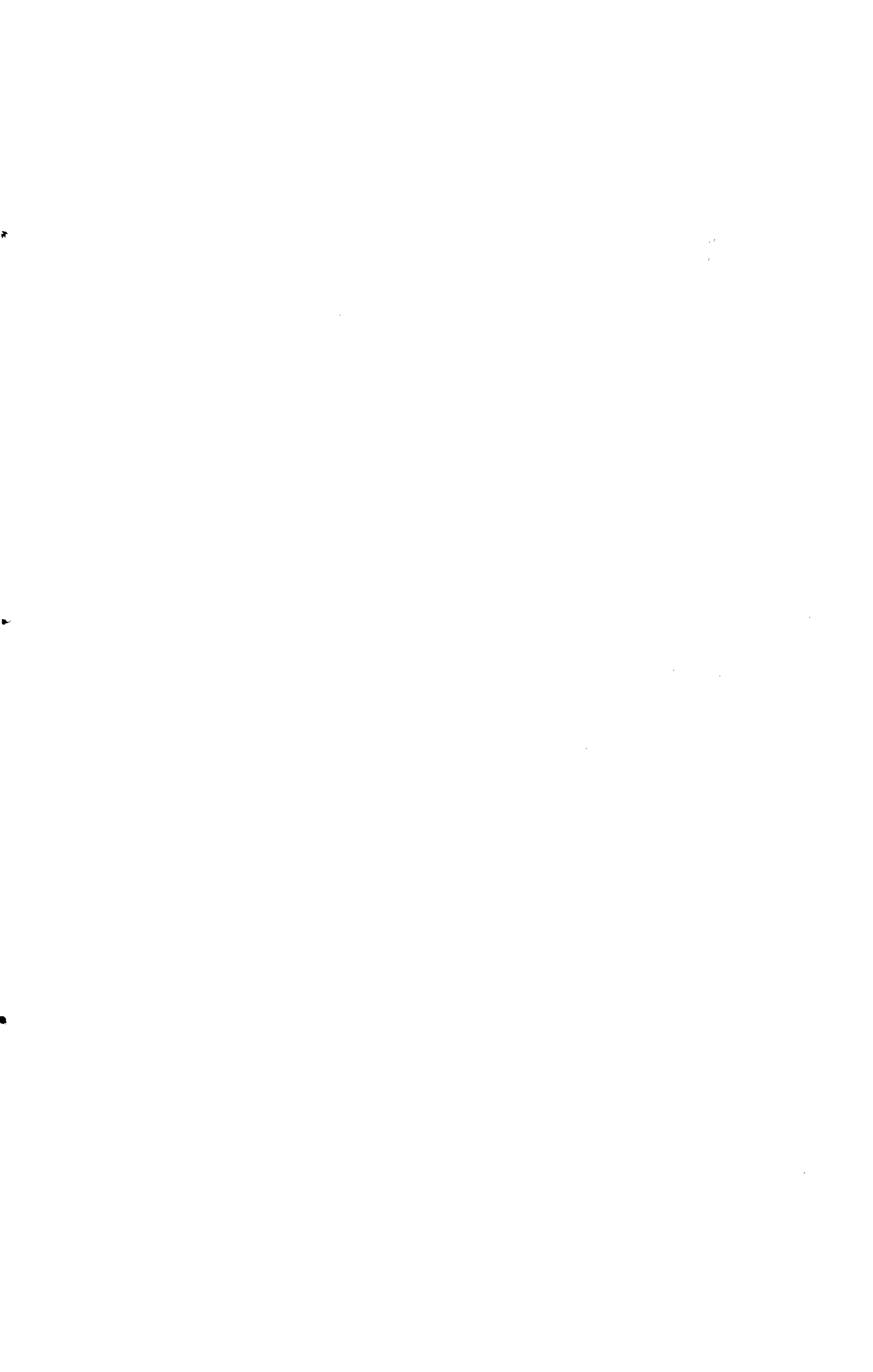
انقضاء خمسة عشرة عاماً أخرى ثم تحدد مرة أخرى كذلك ثم فثم إلى أن ينقرض الدهر و يتم لكل مرة من تلك المرات، وفي كل كرة من هذه الكرات بالتخمين المزبور والتعيين المذكور مبلغ سبعمائة ألف درهم واحد وخمسين ألف درهم وثلثمائة درهم وسبعين درهما فضياً رائجاً في الوقت وتلك المواضع التي يصرف إليها هذا المقدار في خمسة عشر عاما مرة هي داخل الكعبة الشريفة، والروضة المطهرة المنيفة، أعنى بها التربة المنورة بسيد الكونين، ورسول الثقلين، نبينا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام إلى يوم القيامة بالمدينة المنورة، والمقصورة المعمورة بالحرم الشريف، والمنبر المنيف، ومحرابه ومحراب التهجد والأستار الأربعة لأبواب الحرم الشريف ومحراب قبة العباس وقبره وقبر عقيل بن أبي طالب وسيدنا الحسن وسيدنا عثمان بن عفان وفاطمة بنت أسد رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

وما زاد بعد هذا وهو مبلغ خمسمائة ألف درهم واثنين وثمانين ألف درهم وستمائة وسبعين درهماً، لاحتمال أن يقع في بعض السنين النقصان بسبب الشرامي وطوارق الحدثان، لأن هذا بالتخمين وإن لزم في بعض السنين جبر النقصان فليجبر من هذا الفاضل في ذاك الزمان، وإن وجد انقضاء المدة و بعد الصرف شيء يز يدو يفضل، سواء كان هذا المقدار أو الأكثر منه أو الأقل فليشتر بالموجود المزبور الملك المناسب للوقف من العقار الواقع في موضع الرغبة والاشتهار ليكثر محصول الوقف وتوفر مواضع الصرف بإلحاق هذا المشترى والمبتاع سائر الأوقاف واستغلاله معها وصرف غلاته إلى المصارف المبينة بالأوصاف، وتنمية الوقف بهذا التكثير، وتمشيته وتوسعته بذلك التوفير، وهذا بعد رعاية شرط أنه وقع المضايقة في هذا الوقف، أو في وقف آخر الذى وقفه السلطان أيضاً على مصالح الفقراء الذاهبين إلى الحجاز على جمالهم وسائر مهماتهم. وكتب له وقفية مستقلة مشتملة على هذه الشروط والقيود، لتكون مرعيةً بالخلود والأبود، و يلزم أن يعين كل واحد من الجانبين الآخر بزوائده وتفاضل عوائده بإتمام مايهم و يلزم له

وبتكميل لدفع مضايقته وضرورته وإسعاده وإرفاده بمعرفة المتولين ورأى حاكم الوقت وإرشاده واجتهاده إقراراً واعترافاً صحيحين شرعيين مصدقين ومحققين مرعيين وقفاً صحيحاً شرعياً وحبساً صريحاً مرعياً حاوياً على الحكم بصحته أصلاً وفعلاً على وجه يعتد به ديناً وشرعاً غب رعاية شرائط الحكم والتبجيل، في خصوص الوقت والسبيل، لدى المولى الفاضل النحرير الكامل الموقع أعلى هذا الصك الديني والقسط اليقين فتح الله تعالى أبواب القبول بمفاتيح أقلامه وأحكم أمور الشرع بثبوت أحكامه فصار وقفاً لازماً مسجلاً متفقاً عليه على مقتضى الشرع ومرتضى أحكامه بحيث لايرتاب في صحته وانبرامه لوقوع حكم المولى الموحي إليه على رأي من الأئمة الماضين المجتهدين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين عالما بالاختلاف الجاري منهم في مسألة الوقف فلزم خلود السموات وأبود الكائنات «إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين» ولايحمل بعد ذلك لأحد بعد ذلك يؤمن بالله ورسوله واليوم الآخر أن ينقضه أو يحوله أو يبدله فلا يملك ولايملّك بعد ذلك بوجه من الوجوه وسبب من الأسباب وكيف يجترىء لذلك المؤمن أو خائف من الله المهيمن بعد ما سمع قول رب العالمين«ألا لعنة الله على الظالمين» وأجر الواقف بعد ذلك على أرحم الراحمين جرى ذلك وحرر بأمر العالي الخاقاني لا زال عالياً في أواخر صفر المظفر المنحط في سلك شهور سنة سبع وأربعين وتسعمائة من هجرة من لا نبي بعده صلى الله عليه وسلم وعلى آله الذين أوفوا بعهده وسلم كثيراً والحمد لله رب العالمين(١).

---

(١) جاء في الجزء الأول من كتاب «مرآة الحرمين» لإبراهيم رفعت باشا صفحة ٢٨٤ «ن هذه القرى تترك موقوفة على ذلك حتى رحل وقفها محمد على باشا في أوائل القرن الثالث عشر الهجرى وتعهدته الحكومة المصرية لصنع الكسوة من مالها العام ولايزال ذلك دأبها للآن (أي إلى عهده).



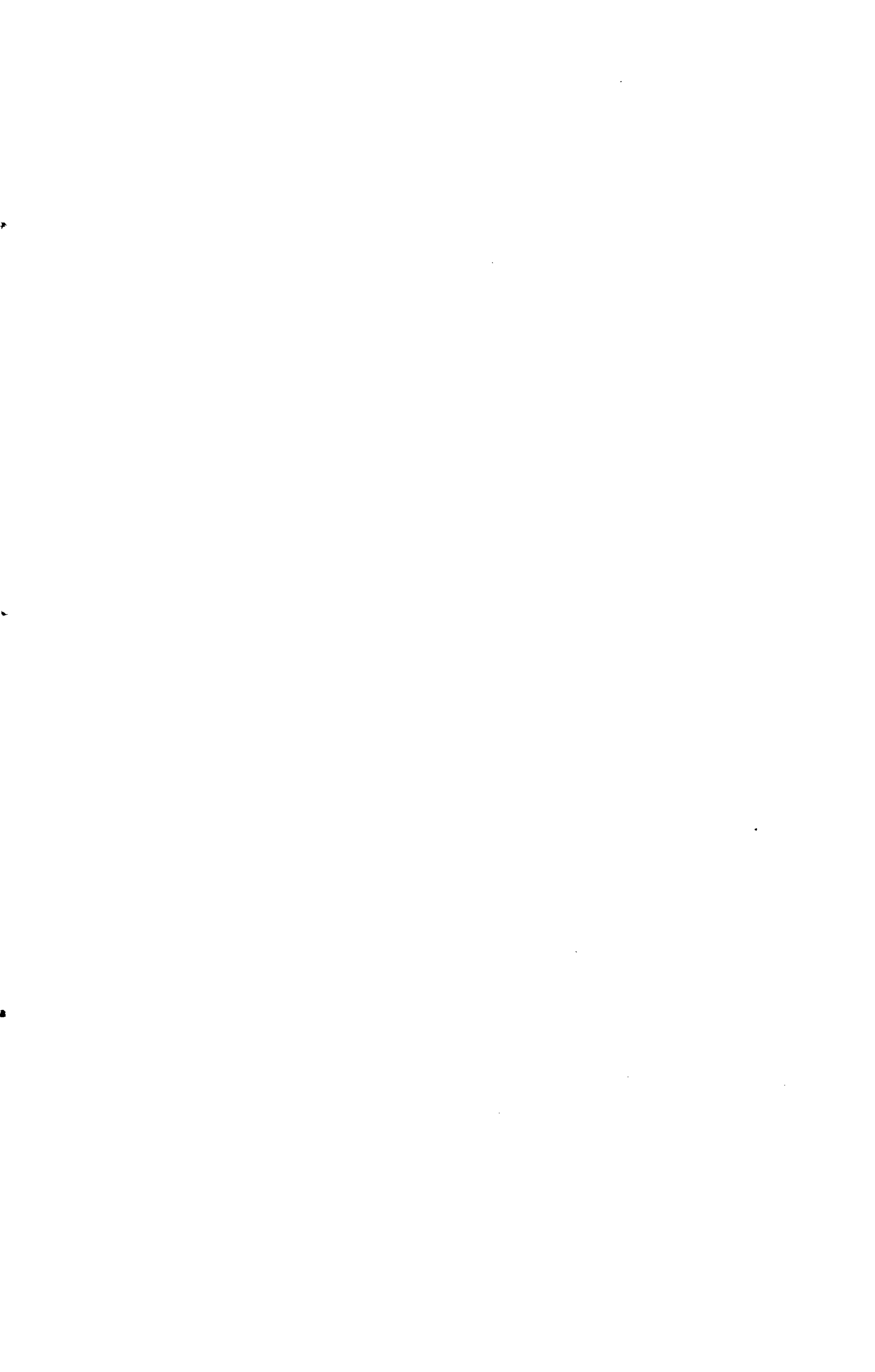
الفهارس الفنية .

فهرس الأعلام .

فهرس الأماكن .

فهرس الموضوعات .

الفهرس العــام .



فهرس الأعلام

اكتفينا بفهرس الأعلام وبفهرس الأماكن والموضوعات عن فهرس المصادر والمراجع لأنها مثبتة بشكلها الواضح في حواشي الكتاب.

ونثبت فيما يلي أهم الأعلام الواردة في البحث، متجاوزين ماكتب البحث من أجله وفيه «مكة المكرّمة»، وقد ذُكر رسول الله صلى الله عليه وسلم في أغلب صفحات الكتاب كذلك، فلم نذكره في فهرس الأعلام.

(أ)

(ب)

(ت)

(ث)

(ج)

(ح)

(خ)

(ش)

(ص)

(ض)

(ط)

(ظ)

(ع)

(غ)
(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

(ن)

(هـ)

فهرس الأماكن

(أ)

(ب)

(ت)

(ظ)

(ع)

(غ)

(ف)

(ق)

فهرس الموضوعات

الفهرس العام